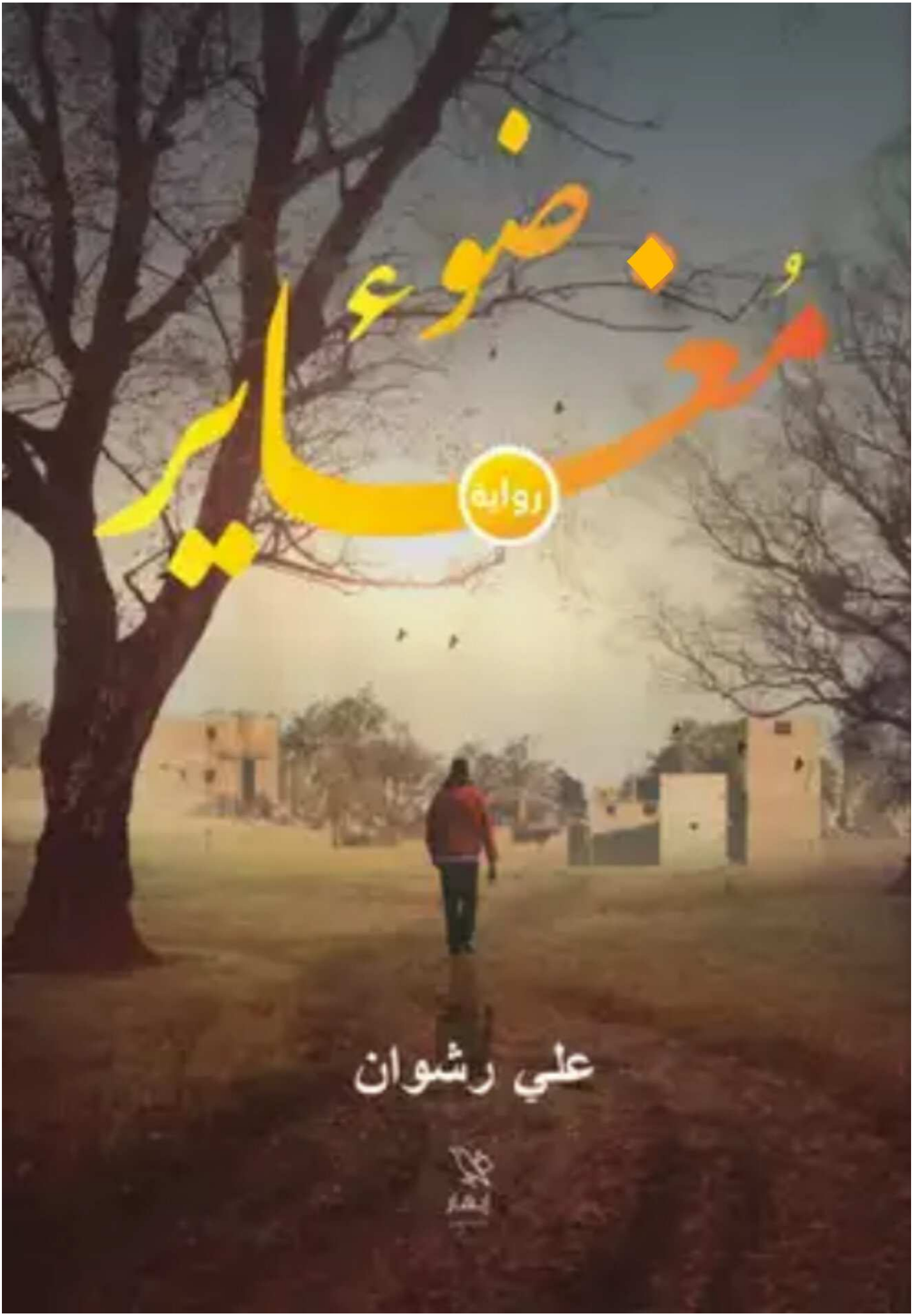
مُضيء
مُحتار
رواية
علي رشوان

رواية

ضوء مُغاير

رواية ضوء مُغاير/ الكاتب علي رشوان

علي رشوان

إبهار
للنشر والتوزيع

+201099197450
www.Ebharbook.com
Info@ebharbook.com

اسم الكتاب: ضوء مغاير
التصنيف: رواية
اسم الكاتب: علي رشوان
تصميم الغلاف: وحيد محمد
التدقيق اللغوي: دكتور/ أيمن العوامري
الإخراج الفني: هند محمود
رقم الإيداع: 2021/23353
الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6842-87-4

رواية ضوء مغاير/ الكاتب علي رشوان

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرّض صاحبه للمساءلة القانونية. أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

جميع الحقوق محفوظة للكاتب فقط
بدأ من ٢ / ٧ / ٢٠٢٣
والنشر الإلكتروني
صرح به الكاتب لجميع الراغبين في ذلك

رواية ضوء مُغاير/ الكاتب علي رشوان

إهداء

إلى كل إنسان يحاول أن
يكون أفضل مما هو فيه.

" الضعف المتغلغل من أحاسيس القلب
إن تمكن منا يفتك بدوافع الحياة فينا،
ويصهر طموحاتنا فيها، وإن وجد لنفسه
مكاناً في أرواحنا يطردنا منها "

الكاتب/علي رشوان

(١)
كتمان أسرار

في أحد شوارع مدينة ديروط التابعة لمحافظة أسيوط وسط صعيد مِصر، إستأثر الشرود برأس حامد وهو ماشٍ وحقيبته بكتفه في الساعة الواحدة ظهرًا، متجهًا إلى موقف سيارات الأُجرة كي يعود منه إلى قريته بعد ستة أشهر أتمها في محافظة القاهرة، والشمس والريح المحملة بالأتربة حرهما لم يخرجاه من شروده العميق، يفكر في أبيه المريض من عدة أيام، ومشتاق إلى أمه التي توفيت منذ عام وشهر، وعودته اليوم هي الأولى التي لن تستقبله فيها أمه، وصوت أبيه في ثلاثة الأيام الماضية يؤكد له أن مشكلة ما وراء مكوثه في البيت ثلاثة أيام مع أن والده نفى له وجود أي مشكلة صحية أو غيرها ويرفض زيارة الطبيب، وضع حقيبته في صندوق سيارة لتقله إلى قريته، تذكر أن يشتري فاكهة، ورجع إلى أحد محالّ بيع الفواكه، اشترى فاكهة في أربعة أكياس، ثلاثة لإخوته والرابع لأبيه، واختص بسيارة إلى قريته.

واليوم أحد أيام جمع محصول الذرة الشامية والحركة تدب في شوارع القرية، والأجولة المعبأة بالذرة في طريقها إلى البيوت على أظهر الحمير أو بسيارات ربع النقل أو بالعربات الخشبية والحديدية المقطورة بحمار أو حصان، وأحد الأيام الأولى من العام الدراسي، وطلاب عائدون من المدارس إلى بيوتهم وآخرون ذاهبون إلى الحصص الدراسية الخاصة، وكُلّ يوم الباعة الجائلون في شوارع القرية بالأدوات المنزلية والملابس والخضروات والفواكه والحلويات، شوارع القرية بعضها أرضها مرصوفة بالأسفلت والأخرى ترابية، وباستثناء منزل قديم أو اثنين في كل شارع جميع المنازل حديثة البناء من طابقين أو ثلاثة، وقليل منها من طابق واحد أو أربعة طوابق، وترعة متعرجة فاصلة ثلث شوارع القرية عن الثلثين الآخرين، ومنازل القرية تعلوها أطباق الالتقاط الهوائي للتليفزيونات، وفي شوارع القرية محالّ بقالة، ومطاعم للمأكولات الشعبية الفول والفلافل وثلاثة مخابز، اثنان للخبز المدعوم والآخر حلواني، وطاحونتان، وصيدليتان، وورش منها للحدادة وللنجارة، وصالونات حلاقة، وكل خمسة شوارع لا تخلو من مقهى أو اثنين، وبأطراف القرية مقاهٍ أخرى زبائنها من شباب القرية وقليل من متقدمي السن؛ وسط القرية ساحة يستخدمها سائقو سيارات النقل موقفًا لهم، وبجانب من جوانب الساحة مبنى الوحدة المحلية بالقرية، وتحت إدارتها ثلاثة قرى مجاورة لها، في مدخل القرية بالطريق الذي يصلها ببندر ديروط محطة وقود، وفي القرية مدرستان، إحداهما مختصة بالتعليم الابتدائي، والأخرى بالمرحلة الإعدادية، وأكثر من عشرة مساجد وبضع زوايا للصلاة، ومحلات للألعاب الإلكترونية ولعبة تجمع الرقم ثمانية البلياردو وكرة الطاولة،

رواية ضوء مغناطيسي / الكتاب الذهبي / علي رشوان

وخارج النطاق العمراني ملعب كرة قدم أرضيته نجيل اصطناعي ومجهز بمصابيح للإنارة.

وصل حامد إلى المنزل، منزل حديث البناء من ثلاثة طوابق، ومطلي بالألوان الزيتية ونقوش وزخارف متنوعة، والدور الأرضي شقة خاصة بوالده، ولحامد فيها غرفة مؤقتة حتى يتزوج ويسكن الطابق الثالث، والطابق الثاني مسكن أخيه خفاجي، وباب شقة دسوقي من داخل مدخل مستطيل بمساحة تقرب من مساحة نصف حجرة وبه كنبة كبيرة، ويسار الباب باب للمضيفة في عرض المدخل، وبأقصى واجهة المنزل يمين الداخل إليه باب طرقة في بدايتها سلم الطابقين الثاني والثالث، ونهايتها باب حظيرة البهائم، وتحت درجات بداية السلم ماكينة رَي، وبجانبي الطرقة فؤوس ومناجل وحبال ومقاطف جلد وأخرى من سعف النخيل، ومذراة وبرذعة وبخاخة لرش النباتات، وأجولة علف وتبن.

أول مرة ستقابله زوجة أبيه، فَجَأَهُ الشعور بالغربة عن المكان مع طرقة الباب... رحبت به سكينة كثيرًا بابتسام وسرور، مشى في الصالة إلى حجرة نوم أبيه، الصالة شاسعة ممتدة بطول الشقة من بابها الرئيس إلى الحائط المشترك مع الحظيرة وبه باب للحظيرة، وغرفة حامد المجاورة للمضيفة، ومن غرفة حامد إلى الحائط المشترك مع الحظيرة غرفة ثلثاها مطبخ من داخل باب الغرفة، والثلث الآخر حمام له طرقة من أمام المطبخ، والجانب الآخر من الشقة مكون من ثلاث غرف، الوسطى هي حجرة نوم دسوقي، وما تجاور الحظيرة مخزن للحبوب والخبز والأواني قليلة الاستخدام، والأخرى كانت حجرة نوم دسوقي وأم أبنائه مدة عام،

ضوء مغاير / النعيب رشوان

منذ إعادة بناء البيت إلى وفاتها، وبها سرير ودولاب وصندوق خشبي ضخم باقية منذ زواجه بها.

جلس دسوقي على فراشه بعد أن كان مستلقيًا عليه، صافحه حامد واحتضنه وهو يسأله عن حاله وصحته.

- صداع خفيف يا ولدي، ولا تشغل بالك، إنت أخبارك إيه يا ولدي؟

- أنا بخير والحمد لله، المهم انت تكون بخير يا حاج.

- أنا زي الفل وتمام يا ولدي.

وجلس حامد بحافة السرير، سأله دسوقي عن خط خمري رفيع مُمتد أسفل حاجبه الأيمن بطول يقصر عن طول حاجبه قليلًا ويبرز من سمرته.

- مكان جرح حادثة سيارة كنا راكبينها للشغل في القاهرة.

وأتت سكينة بالغداء، وهمت بالخروج من الحجرة، فطلب منها حامد أن تأكل معهما، لكنها فضّلت الأكل بعدهما، وأصرّ حامد على طلبه منها، وحثها دسوقي على الجلوس فجلست.

- حامد أول واحد قال لي إنك أنسب واحدة لي.

- ربنا يبارك لنا فيه يا حاج.

- لا تقلقي من وجود حامد، ولا أحس بإنك محرجة منه أبدًا.

- حامد ولدي يا حاج.

- وانت يا حامد لازم نخطب لك عروسة قبل رجوعك القاهرة يا ولدي، انت كبرت يا ولدي.

- بإذن الله يا حاج... أنا نويت أخطب.

- ولو خطبت عروسة أهلها مجهزينها نزفها، وسافر على راحتك.

- ربنا يسهل يا حاج، المهم شد حيلك انت، أنا قلقان عليك، عمرك كله ما قعدت في البيت.

- عريس يا ولدي.

وحاول دسوقي التبسم ولم تستجب له عيناه لإتمامها، ولاحظت سكينة إدراك حامد حال أبيه.

- اسمعني يا حامد، أنا شهر واحد عشته مع الحاج لكن متأكدة من إن مشكلة كبيرة شاغلة مخه.

- شيء مضايقك يا حاج؟

- أنا بخير ومتعافي وأقدر أهد جبال يا ولدي.

- لو واحد مضايقك أو معك مشكلة أو محتاج حاجة قل لي.

- انت شاغل روحك بشيء ما هو موجود يا ولدي، هي تخمن مع نفسها وانت تقلق يا ولدي؟!

ونظر دسوقي بعيدًا عن وجه حامد حتى لا تلتقي أعينهما ويقرأ حامد منها إخفاءه مشكلة عنه، تذكر دسوقي يوم أن شاهد خفاجي في علاقة غير شرعية مع وهيبة التي تسكن في منزلها وحيدة نهاية الكتلة السكنية للقرية في طريق أرضهم، كان خفاجي خارجًا من منزل وهيبة فجرًا ورآهُ في الطريق، فاندفع من عتبة باب منزلها لداخله، لمحه وطارت منه شُقَّة في الأرض وشُقَّة في السماء، ابتعد عن المنزل حتى خرج ولقيه بغضب واحتقار.

- كنت أحسبك رجل وأنت شبه رجل.

وإحساسه بمرارة فقدان خفاجي جعله يحاول استعادة أدهم من عصيانه إلى طاعته، وبمنزل أدهم قبل الساعة السابعة صباحًا عاتب أدهم

بهدوء؛ لأنه عاهده كثيرًا على ألا يستخدم وظيفته في جمع المال من الأهالي ونكث عهوده.

- أنت قاصد الصبح بدري تغني معي من أول وجديد.

- أغني يا أدهم؟!

- اسمعني يا حاج، الأحسن لي أنا وأنت إن كل واحد يبقى في حاله، راحة لنا كلنا.

- ودست حقي في إني أقول لك عيب وابعد عن الحرام.

- كلامي قلته لك، ونفسي أقعد في بيتي مرتاح من وجع الدماغ.

- وانت بقيت عديم الأدب معي، وتطردني من البيت! انت انقطع منك الأمل، الحرام عمى قلبك أول وآخر.

وشرك مَتين عُقِد حَول جسده وفي كل خانة منه مخارز مَشدودة وحَدُّها نحو جسده، وطأة الموقف غافلته وأوردت له مسئوليته عن القدر الأكبر من انحرافهما، وكأن الشرك أحكم قبضته عليه، وأحس بمخارزه تنغرز في كل قطعة من أجزاء جسده ونطق:

- وبعده إيه؟!

وتأفف بملء فمه، وانتبه له حامد.

- إيه ضايقك يا أبوي.

- أبدًا... أبدًا، ولا شيء، نفسي أنام والنوم طاير من عينيّ.

واستحسن حامد ألا يضغط عليه، وتَطرَّق بالحديث إلى أمور شتى، حتّى انتهوا من الغداء وقام حامد إلى حجرته، الأسرار الجسيمة دوامات سريعة وعميقة يغرق فيها الكثيرون، وغَل الهم في صدره، تيقن أن الذي

أقام أباه بالبيت أمر جسيم، فكر فيما تكون الأسباب وراء معاناة أبيه وسوء حال أخيه، وبالتحدث إلى خفاجي قد يتبين منه أيّ من الأسباب.

وجاءت إليه إنعام زوجة خفاجي وبيدها ابنتها في الرابعة من عمرها، وابنها في السادسة من عمره، وابنتها محاسن المتخرجة في التعليم الفني منذ عامين، مازحهم حامد وضم الطفلين إليه وقبلهما، وصافحته محاسن، وسألت إنعام عن خفاجي، وكان خفاجي قد خرج إلى الأرض مباشرة من دقائق، استغربت إنعام والتمست له العذر من حامد؛ لأنه منذ أربعة أيام في انشغال ونفاذ صبر على كل أمر وكل شيء، وأهدى حامد إلى كل من الطفل والطفلة ومحاسن خمسين جنيهًا، وكيس فاكهة لإنعام.

واتجه إلى بيت أخته أحلام المتزوجة من جاسر أحد شباب القرية، وتعمل ممرضة في مستشفى قطاع خاص، وموقوفة عن عملها هي وثلاث زميلات لها من قسم عملها نفسه، تشاجرن مع مرافق ألحّ عليهن لمتابعة والدته، وتباطأن معه عن عمد، وأغلقن على أنفسهن الغرفة الخاصة بهن... وفدت إلى المستشفى لجنة من مديرية الصحة بأسيوط، وأحد أسباب قدومها شكوى من المرافق سابق الذكر، وراجعت اللجنة تسجيل الكاميرات المثبتة بممرات القسم التي تعمل به أحلام، وشاهدت اللجنة معاندتهن المرافق وتقاعسهن.

سُرت أحلام برؤيته، وأعطاها كيس الفاكهة... سألها عن زوجها الذي سافر إلى إحدى الدول الخليجية منذ أيام... مشى إلى الأرض، كانت الأراضي من حول القرية جرداء ما عدا قطع قليلة وصغيرة من الأراضي، في انتظار زراعة النباتات الشتوية المداوم أهل القرية على زراعتها، ومنها القمح والفول والبصل والثوم والكرنب، وزريبة بهائمهم

ضوء مغاير / الكاتب رضوان

بطرف قطعة أرض بائرة بجاور طريق ترابية ضيقة، وتمتد على جانب الطريق ترعة ضفراها مكتظتان بحشائش كثيفة، خفاجي مضطجع على الأرض ساهٍ خلف زريبة البهائم يدخن سيجارة بشراهة وبأنفاس عميقة... اعتذر خفاجي من حامد بالنسيان؛ لأنه خرج من البيت دون رؤيته... أنكر خفاجي علمه بوجود مشاكل خاصة بأبيه.

- وانت إيه شاغلك ومغير حالك يا خفاجي؟

- أنا في كل خير، ولا مشغول بحاجة.

وخطر في بال حامد أن قد تكون مشكلة قائمة بين خفاجي وأبيه.

- معك مشكلة بينك وبين أبوك؟

فوجيء خفاجي بالسؤال وتنافرت ملامح وجهه.

- أبدًا... يا حامد، سؤالك غريب!

الارتباك الظاهر على خفاجي جعل حامد متأكد من أن مشكلة وعرة بين خفاجي وأبيه، ومن الممكن أن يطلعه أخوه أدهم على المشكلة ويساعده على إنهائها، ما فعله مع إنعام وأبنائها كرره مع شادية زوجة أدهم ووَلدَيها اللذيّن أحدهما في العاشرة من عمره والأخر في الثامنة، وبنتها التي في السادسة، كانت شادية مكروبة وقلقة من يوم أن شهدت طرد أدهم لأبيه من البيت، في الأيام الماضية قتلت عقرب كانت جوار رأس ابنها الأول في فراشه، وإسطوانة الغاز انقطعت وصلتها بالموقد فجأة، أرادت أن تطلب من حامد أن يرجو أباه العفو عن أدهم، لكنها خافت من عقاب وأمسكت لسانها.

واتصل حامد بأدهم لحل خصومة بين خفاجي وأبيهم، وبسبب زجره أبوه عن دخول بيته تهرب من حامد، وتفهم حامد تفلت أدهم منه، فكلما

جمعه موقف مع أبيه استقبحه أبوه لاستغلاله وظيفته مديرًا لتنظيم الوحدة المحلية بالقرية في الإرتشاء من أهل قريتهم وأهالي الثلاثة قرى التي تديرها الوحدة المحلية، والضغط والتضييق عليها فيما يحق لها؛ حتى يرشوه بالمال مقابل تيسيره أمورًا تخصهم.

(٢)
محاولة للفرح

ردّ حامد على مكالمة من طلعت ابن عمته، وعاتبه طلعت على عدم الاتصال به لتوصيله من بندر ديروط إلى المنزل (بالتوكتك) ملكه ويعمل به.

- انت لو قابلتني كنا قعدنا وحكينا وضاع يومك يا طلعت.

مبرر حامد كان غير مقنع لطلعت، حك عنقفته المتكدسة بين شفته وذقنه ولا شعر بوجهه سواها وعاب حامدًا، واتفقا على أن يتقابلا مع أشرف ورجب وعبدالغني، وأجرى طلعت اتصالات بالثلاثة، وكان أشرف في قطار عائدًا من عمله في مدينة أسيوط بمستشفى الصحة النفسية أخصائيًّا نفسيًّا، وعبدالغني كان يجمع أدوات عمله فور انتهائه من تركيب مسلتزمات كهرباء بيت تحت التأسيس، وكان رجب يُموِّن سيارات بالوقود في محطة وقود القرية وهو يعرج بإحدى رجليه لإعاقتها بشلل الأطفال منذ صغره، وتواعد معهم طلعت على اللقاء ليلًا مع حامد.

والتقوا في مقهى من مقاهي القرية... اختار أشرف ركنًا خاليًا من الزبائن ومنضدة سطحها مرتفع ليريح رجليه الطويلتين، ولعبا الشطرنج مع حامد، أمّا رجب وعبدالغني وطلعت لعبوا (الدومينو) بجوارهما، وأخفى حامد انشغاله بمشكلة تعب أبيه حتى لا يعكر صفوهم، وبدأ كل منهم يحكي لحامد مواقف حدثت معهم مجتمعين أو على حدة في ستة الأشهر الماضية، وقصوا الأحداث الصعبة على حامد بأسلوب مرح، والمواقف المازحة يبالغون في هزلها، وتناقشوا في الاستعدادات لحفل زفاف رجب، ابتهجوا بطلب حامد منهم اقتراح فتاة عليه ليتقدم إلى خطبتها، واقترحوا عليه أسماء فتيات من القرية ومن القرى المجاورة، عرض عليه رجب اسم هويدا إحدى فتيات قريتهم، وشجعه أشرف وطلعت وعبدالغني على خطبتها، وصفف عبدالغني بأصابعه شعره محلق الجانبين، وحفز حامد على خطبتها لكون جارها وصديقة أخته، وشهد بحسن أخلاقها وسيرة أهلها الطيبة، ولديها شهادة جامعية من كلية دارالعلوم للغة العربية، وقال له طلعت باتسامة:

- بنت رقة ورشاقة وأناقة يا حامد، ونفس تخصصك.

ولمس عبدالغني ركبة طلعت.

- أنا وأنت لازم نخطب يا طلعت، ونفكر في مستقبلنا، خمس أو ست سنين، وكلنا نصل أربعين سنة، وأشرف الوحيد في عش الزوجية.

وعندما رجع حامد إلى البيت أبدى لسكينة عزوفه عن الطعام، وشاورها حامد فيمن تعرفهن من فتيات مناسبات لخطبة واحدة منهن له، فخيرته بين ثلاث فتيات من القرية إحداهن هويدا.

- انت ولد الحاج دسوقي، ودارس في الجامعة، ونجار ومهنتك غِنى لك، وأي واحدة موافقتها هي وأهلها مضمونة إلا إن يكون النصيب غلاب.

في الصباح عرّف أباه من تكون هويدا، وافقه في التقدم لخطبتها، كلَّمَ أحلام هاتفيًّا... شجعته على خطبة هويدا، صعد إلى خفاجي... أيَّده خفاجي وسكينة في طلب يدها، وعمته صبرية فرحت بزيارته إياها هي وزوجها محمد مدير المدرسة الاعدادية بالقرية ومدرس منهج الرياضيات سابقًا، وأول ما سألته عنه عمته كان أباه، وهل أجابه أبوه عن سبب إعتراضه على زيارة الطبيب... حثّ حامد على الاقتران بهويدا، وفي الثالثة عصرًا كان حامد في منزل أدهم، واختياره هويدا أحسن اختيار عند أدهم وزوجته، وتعلل أدهم بكراهية أبيه محاورته؛ لذا سيظل مُتباعدًا عنهم وعن مشاكلهم راحة لأبيه.

أرسل حامد ودسوقي سكينة إلى والد هويدا... أذن لها بزيارتهما ورؤية هويدا الليلة... استُقبِل حامد وأبوه بحفاوة وإكرام من والد هويدا ووالدتها، وجلست معهم هويدا دقائق، وأمهلهم دسوقي من الوقت أسبوعًا للتفكير والتشاور فيما بينهم.

وكان في انتظار حامد أشرف وطلعت ورجب وعبدالغني في المقهى، لاحت عليهم أريحية السرور بتقدم حامد إلى خطبة هويدا، توافقوا على بدء الإعداد لحفل زواج رجب بالشروع في الدعوة إلى حفلتي الحنة والزفاف ووليمة غداء العرس وحجز الفراشة ومكبرات الصوت، وطلب طلعت من حامد وأشرف وعبدالغني ستمائة جنيه يشتري تسالي حفلة الحنة، وأناط بحامد إقامة المسرح وتوفير تكاليف نجار آخر إذا أنشأ

ضد الكاتب علي رشوان / مغتصب

المسرح وسيحضر هو الخشب وارتضى بها حامد، ورجع إلى البيت منتصف الليل، وكان والده في صالة المنزل يرتقبه.

- اشتغل هنا مع مقاول من مقاولين بلدنا يا حامد، وبعد فرحك أنا أشتري لك خشب وتشتغل لحسابك، سفر القاهرة مضيع تعبك من غير منفعة.

وافقه حامد، وازداد يقينًا بأنه يعاني مشكلة عصيبة لا بُدّ من حلها في أقل وقت، وانتاب حامد الخوف عليه مما يعانيه، سبعة أيام كان يحاوره حامد كلما وجده مستيقظًا، كان شغله الشاغل انتشاله من همومه، بات لا يتكلم عن أي شيء إلا إذا بادأه بالحديث، وكلامه يكون دقيقًا ومعدودًا إذا ذكر أدهم وخفاجي، الإجابة على قدر السؤال ويصمت، ردوده ليست بتلقائيتها المعتادة، كل يوم بريق عينيه يضعف عن سابقه.

رافق حامد خفاجي إلى الأرض، واستاء من النظر عبر الأرض، توقف أبوه عن القدوم إليها، صباحها كأنه غروب، هذه الأرض ينقصها أبوه، وأبوه الماكث بالبيت تنقصه الأرض، قيمة الأرض وجمالها في هندمة أبيه لها وتنقله بين أحواضها، وألِف عافية وصفاء حال أبيه في قدرته على الاعتناء بها.

- انت في مشكلة بينك وبين الحاج ومخبيها عني؟

- إيه يا حامد...؟! قلت لك... أبدًا.

- أبونا في مشكلة تعباه يا خفاجي وهو ساكت عن الكلام معي في أي شيء، وأنا قلقان عليه، أبونا موجوع، والوجع قعده في الدار.

- لو أعرف عن الحاج شيء أو مشكلة كنت قلت لك يا حامد.

رواية ضوء مغاير / الكاتب علي حسون

خفاجي لم تطأ قدمه شقة أبيه منذ عودته من القاهرة، وأبوه يزداد سهوه كلما ذكر خفاجي، هناك مشكلة واعرة وحساسة ومعقدة وكلاهما يجم عن التكلم من قلق على سر أو أسرار، جلس مع أبيه في المساء.

- لو واحد مزعلك أرميه تحت رجليك ويبوس جزمتك يا أبوي، لكن قُعادك في البيت زعلان، كبيرة يا أبوي.

- يا ولدي اشغل نفسك بشيء غيري، أنا بخير وصحتي معي، وكفاك حكاية زعلان... واحد مزعلني، أنت أدرى واحد بأبوك عمري ما واحد قدر يزعلني.

وجاء نبيه وابنه صبحي يشكوان إلى دسوقي سوء معاملة أدهم لهما لإحجامهما عن إرشائه، فحرر ضدهما مخالفات لم يُجرِها على جيرانهم ممن هم في وضعهم القانوني من أصحاب مزارع الدواجن، وأن الوحدة المحلية أنذرتهما اليوم بهدم مزرعتهما بسبب تعنت أدهم معهما، صمت دسوقي، وتجاوب معهما حامد، وعدهما بتحدث أبيه مع أدهم في مشكلتهما، وبعد خروجهما عرض حامد على أبيه إجراء مكالمة مع أدهم فلم يجبه، وأمعن حامد نظره فيه وهو غير آبه لما حوله، ربت حامد على كتفه.

- لا أكلمه ولا أشوفه يا حامد، ميئوس منه يا ولدي.

ورجعت سكينة من بيت والد هويدا ومعها موافقته على تزويجها بحامد، ورغب حامد في حضور خفاجي وأدهم جلسة شروط زواجه، فعارضه دسوقي بشدة، وشرط على حامد إبعادهما عن كل ما يخص زواجه وألا يسأله عن الأسباب، وهجس في رأس حامد أن يكون خفاجي وأدهم أغضبا والده في موقف جمعهم معًا.

رواية ضوء مفقود / الكاتب علي رضوان

وأثناء الاتفاق على الشروط تطرق دسوقي وسكينة مع والد هويدا وأمها إلى عدد ما سيمهره حامد لهويدا من جرامات الذهب، وقيمة المبلغ النقدي، وكم مقدار اللحم الذي سيرسله لهم يوم غداء الزفاف، وحفل الزفاف سيكون في قاعة حفلات ببندر ديروط أم في شارع منزل دسوقي، وشدهم النقاش إلى مجادلات متلاحقة كادت تتحول إلى اختلافات تمنع التوافق لولا تجلد دسوقي وسكينة بالصبر، وأُجهد دسوقي في التفاوض معهما، فألمح بحاجبيه إلى حامد ليواصل معهما، وأتم حامد وسكينة الاتفاق معهما، وحددوا ميعاد شراء الذهب الجمعة القادمة، وأن حفل الزفاف خلال عشرين أو خمسة وعشرين يومًا القادمة في شارع منزل دسوقي، ومع أن حامدًا مقتدر ماليًّا على تلبية طلبات والد هويدا ووالدتها كما طلباها من البداية، ملّ وحبس تأففه من حرصهما على قدر معين من الذهب والمال واللحم وإصرارهما على إقامة الحفل في قاعة ببندر المدينة.

وأفصح لأبيه عن ضيقه من والد هويدا والدتها لأسلوبهما الجاف في الحديث، ورعونة تمسكهما بسقف مطالب مرتفع.

- حالهم حال أغلبية الناس يا ولدي، وضيقك سببه إنك أول مرة تقعد قعدة شروط وتكون هي قعدة شروط فرحك.

ذهب حامد إلى أشرف وفصّل له أسباب إباء نفسه إتمام الزواج من هويدا، فسر له أشرف أن ما فيه لا يتعدى مفاجأة هينة؛ لأنه ليس لديه حنكة بهذا الموقف، وأنه كان متوقعًا التسهيل من أهل هويدا بعدما رأى ترحيبهم به، وتثبت التوقع به، ولهذا تعدت المفاجأة حدودها، وتركت أثرًا سلبيًّا به، ودعاه إلى الهدوء والتريث، وتقدير الموقف بحجمه لا أكبر

منه، حاول حامد ترويض نفسه على إتمام زواجه من هويدا لكنها صارعته، ووثب التوتر داخله بقرار تخليه عنها، وصرّح لأبيه بقراره.

- المجادلة والمعاندة في قاعدة الشروط معظم الناس واقعين فيها واقعين يا ولدي، أنا لي طلب يا ولدي.

- أؤمر يا أبوي.

- اصبر على القرار، هم أكيد مجهزين لك عزومة ليلة الأربع لإن الخميس حجز الدهب، اقعد واتكلم معهم، نفسك ارتاحت كمل، نفسك صدتك كل واحد يعرف طريقه.

- أنا معك يا أبوي.

(٣)
إندساس مجرم

أثناء توصيل سراج من الإدارة التعليمية إلى ببندر مدينة ديروط، استخلص طلعت من مكالمة أجراها سراج مع شخص ما أن سراج يقوم بتوظيف أشخاص في مؤسسات حكومية مقابل حصوله على مبلغ مالي، صديقه رجب حفيت قدماه في طرق المسئولين والشخصيات العامة وعيي عن الحصول عليها على مدار عشر سنوات منذ تخرجه في المدرسة الثانوية الصناعية، سراج معه منذ خمسة أشهر وكل يوم في عمله، وأوصل طلعت زملاء لسراج إلى أماكن ما، وذكروا له سراجًا بكل خير، سراج فرصة سانحة لتوظيف رجب... بَسّط سراج لطلعت توفير فرصة عمل لرجب، إعاقة إحدى قدمي رجب، وتخرجه في المدرسة الفنية الصناعية يُسهلان عليه تعيين رجب بوظيفة في أقل من شهرين، أقنع طلعت بشغور وظائف في المؤسسات الحكومية بذكرأسماء شباب وفتيات من أبناء قريته

تم تعيينهم في الشهور الأخيرة منهم جيران لطلعت، ونَسَب سراج إلى نفسه دورًا أساسيًّا في توظيف اثنين منهم.

وطرح طلعت على رجب وحامد وأشرف وعبدالغني ما قاله له سراج، وحذروه من أن يكون سراج نصابًا، الرجل سيرته حسنة وليس عليها غبار، موظف حكومي والنصب سيضيق عليه ممارسة عمله، النصاب يحتال على من يجهله، استسلموا للخطوة التي يريدها طلعت، وعَبْر الهاتف حصل طلعت ورجب على وعد من سراج بتوظيف رجب نهاية شهرين من دفعه ستين ألف جنيه، وعرض عليهم أشرف تهنئة عباس بعدما أفرج عنه من السجن، والد عباس يود أهليهم في كل المناسبات.

تجمعهم أمام عباس كان مصدر فكرة انضمامه إلى مجموعتهم أو إلى مجموعة أصدقاء أخرى سيرتها مَحمودة، يُحسِّن بها سمعته التي ساءت منذ ثلاث سنوات بضبطه سارقًا حافظة نقود شخص في بندر مدينة ديروط، بهم يميط نفسه عن شبهة القيام بعمليات السرقة التي يخطط لها، جلسوا مع عباس ووالده، وقبل انتهاء أيهم من رشف كوب الشاي أشار لهم رجب بعينيه للشروع في الانصراف.

أربعة أيام كانوا فيها من العصر وإلى الساعات الأولى من الليل يدعون إلى غداء الزواج وحفلتي الحنة والزفاف، وعصر اليوم الخامس كانوا في شارع منزل رجب يجهزون لبدء حفل ليلة الحنة، طلعت يساعد صاحب مكبرات الصوت في اختيار الأماكن المناسبة لها في الشارع، حامد وأشرف ينضدان المقاعد، وعبدالغني ينثر الماء على أرض الشارع من ماسورة مياه بلاستيكية بدايتها من صنبور في منزل رجب، وكثير من المصابيح متنوعة الأشكال مثبتة بطول وعرض فضاء الشارع، وقطع القماش

روايات مغاير / الكتاب على رشوان

المزخرفة بجانبي الشارع، وفي ناصية الشارع بوابة من القماش منتفخة بالهواء.

في حوالي السابعة مساءً خرج رجب من المنزل مرتديًا بدلة دون ياقة وأخواته يزغردن من خلفه، وبدأت مكبرات الصوت تبث الأغاني، وحضر إلى الحفل الكثير من رجال وشيوخ وشباب ونساء وفتيات القرية، والشباب الحاضرون مرتدون الأقمصة والبناطيل إلا قليلًا منهم مرتديًا جلبابًا، والفتيات معظمهن بالأقمصة الخارجية والتنورات أو الفساتين، وقلة منهن مرتدين بناطيل، وعيونهن مكحلة وملونات الوجه مغيرة بشرتهن وملامحهن، تكدست النساء والفتيات بعدد من المقاعد، وأخوات رجب الثلاث كن يستقبلهن، حضر عباس إلى الحفل، واستقبله طلعت ورجب بترحيب وإكرام، وكانت محاسن مع صديقات لها، ورآها عبدالغني، وحز فيه ضيق من رفض طلبه الزواج منها.

ورجب وحامد وأشرف وطلعت وعبدالغني يستقبلون المدعوين، يقدمون إليهم المشروبات والتسالي والسجائر والنراجيل، وبين الحين والآخر رجب يوزيع التسالي بين النساء والفتيات والأطفال، ومجموعات من الشباب يرقصون على غناء المهرجانات الغنائية الشعبية، وآخرون رقصوا على إيقاع أغنية أسبانية لا يعلمون معاني كلماتها، ومجموعة رقصت الرقص الشعبي الصعيدي، وبعض الشباب استخدموا الألعاب النارية في رقصهم، وطلعت يشارك كل من يرقص رقصه ولو لثوانٍ، وثلاثة شباب أدوا حركات استعراضية بدراجاتهم النارية وآخر مزَّق قميصه وهو يرقص، وآخرون كلٌّ منهم كسر برأسه مواسير الإنارة الخاصة بالمصابيح

ضوء مغاير / الكاتب عبدالغني رشوان

الكهربائية المنزلية الطويلة، وبعض النساء والفتيات رقصن وسط الجزء المتجمعات فيه.

أَزِفَ الحفل على الانتهاء في الواحدة صباحًا، وعبدالغني وطلعت ورجب وحامد وأشرف وعبدالغني رقصوا معًا الرقص الشعبي الصعيدي، وشاركهم عباس في الرقص بضع دقائق وغادر الحفل، تجنب عباس شعورهم بالملل منه إذا أطال معهم، وأكبر أخت من أخوات رجب خرجت من بيت رجب بطبق كبير مملوء بالحنة، مثبت به عدد من الشمع المضيء، أمسك به طلعت منها، وتجولوا به في شوارع القرية يغنون الأغاني الشعبية الصعيدية، واقتربوا من منزل أشرف، واستأذنهم أشرف في العودة إلى بيته...

وأوضحت نورا لأشرف استيعابها فرحته بوجود حامد خاصة في الحفل، وأعدت نورا العشاء، ومن تحت السفرة جلست قطة نورا على قدميها الخلفيتين، أتت بها نورا للتخلص من الزواحف والفئران واليرابيع والحشرات التي تدخل البيت أو تحاول دخوله قادمة من الأراض الزراعية المجاورة للبيت من كل اتجاه، ونورا ذكَّرت أشرف بعدد من المواقف المرحة يوم حفل عرسهما منذ أربعة أشهر، وتراجع أشرف بذاكرته إلى سنوات الخطوبة الثلاث التي قضاها في انتظارها، كانت إحدى طالبات الفرقة الثانية في قسم علم النفس بكلية الآداب بجامعة أسيوط، كانت واحدة من مجموعة من الطالبات عليهن إلتزام من الكلية بالتدريب على عملهن المستقبلي على يديه كأخصائي نفسي في مستشفى الصحة النفسية وعلاج الإدمان بمدينة أسيوط... رفض أخوه سالم تزويجه بها، كان يريد له أخت زوجته، ومنع سالم أخاهما الأصغر من الذهاب مع

رواية ضوء مهجور / الكاتب علي رشوان

أشرف لخطبتها، وقصد دسوقي في الذهاب معه... رافقه دسوقي إلى القاهرة، واعترض والدها وأمها على ارتباطها بأشرف؛ لأنهم يسكنون القاهرة وهو في وسط الصعيد، واستمر رفضهما خمسة شهور، وبتشبث نورا بأشرف ومحاولاتها الدؤوبة إقناعهما بالموافقة خطبها له دسوقي في الزيارة الثانية لهم... نظف معها أشرف السفرة، وأذن الفجر وهما يتسامران مع همسات ولمسات وضحكات ورسم صورة شكلية وصفات شخصية لمولودهما القادم بعد شهرين.

وفي بداية ظهر اليوم التالي كان أشرف وطلعت وعبدالغني وآخرون يغدون المدعوين في مضيفة بيت رجب، وأخوات رجب الثلاثة في الصالة خلف الطباخ، ملابسهن ناشب فيها دقيق الخبيز وعجين منه، كبيرتهن تقطع أرغفة خبز كبيرة كل رغيف إلى أربع قطع والأخريان تغسلان الأطباق، وجوههن متهللة كأطفال فرحين بالمداعبة بين أيدي أبائهم وأمهاتهم، فرح أخيهن الأوحد لهن وآخرهم، حوّل تعليمه إلى منزلي في الصف الأول الثانوي الفني وبدأ يعمل، وتوفي أبوهم، وحينها كانت أمه متوفية وهو في الصف الثاني الثانوي وأخته الأولى متزوجة، وتكفل بأختيه الأخريين حتى زوجهما، ودؤوب على برهن وودهن... ورجب خارج المنزل يستقبل المدعوين، وحامد كان يُنشئ المسرح في الشارع، وجاء عباس، وتناول الغداء ثم شارك في تقديم الغداء وتنظيف السفر، وتراجعت أعداد المدعوين الحاضرين الغداء، وخرج عباس إلى رجب.

- لو أي مساعدة ممكن أقدمها لك يا رجب أؤمرني...

- شكرًا يا عباس، عُقبى لك، ونرد لك وقفتك يوم فرحك.

رواية ضوء مغاير / الكاتب رضوان

أنشأ حامد المسرح، وأثناء تناوله الغداء مع رجب وأشرف وعبدالغني وطلعت طلب من عبدالغني أن يساعده في الحصول على عمل مع أحد المقاولين، وتلَقَّم طلعت غداءه بسرعة، موعد تناول جرعة علاجه لالتهاب الكبد الوبائي بعد نصف ساعة بمستشفى اختصاصي ببندر ديروط...

وقبل العشاء تجمع طلعت وحامد وأشرف وعبدالغني مع رجب، وكان رجب مرتديًا بدلة بياقتها في المقعد المجاور لسائق سيارة خاصة بجميع جوانبها ورد وأوراق زينة، ومن خلفها سيارتان ربع نقل بصندوق إحداهما حامد وأشرف مع آخرين، وعبدالغني يقود دراجته النارية وطلعت وراءه، وتحركت ثلاث السيارات إلى بندر ديروط، وهن يعزفن معًا لحنًا بنغمات آلات التنبيه، ويقمن بحركات استعراضية في الشوارع الإسفلتية الواسعة بالقرية.

وصلوا إلى مركز التجميل، وخرج رجب بشروق من المركز وهي بفستان الزفاف الأبيض وفي زينة ووجه برّاق، ومن خلفهما صديقتان لها متجملتا الوجه ومقدمة شعر الرأس، ومصور الفيديو يصورهم، ومشى رجب وشروق إلى مركز تصوير فوتوغرافي مجاور لمركز التجميل، وصورهم المصور من زوايا عديدة، وجاءت سيارتان ربع نقل بهما أفراد من عائلة شروق... ذهبوا جميعًا إلى حديقة بمدينة ديروط، وصور مصور الفيديو رجب وشروق واقفين، ومتعانقين، وجالسين بمقعد، وعلى الأرض بين الأشجار والورود.

وعادوا إلى منزل سطوحي والد شروق، وجلس رجب وشروق في صالة البيت في زحام شديد من النساء والفتيات والأطفال والزغاريد الكثيرة المتوالية، وعقد المأذون القِران، وأطلقت شماريخ الألعاب النارية،

رواية ضفائر / الكاتب علي رشوان

واتجهوا إلى منزل رجب، وترك الجميع السيارات عند رأس الشارع، وأمام رجب وشروق وهما في طريقهما إلى المسرح غنّى طلعت وآخرون يرددون معه مقاطع متفرقة من الأغاني الشعبية الصعيدية، وتلعثم في غنائه من النسيان، وكان عباس في الشارع يصفف المقاعد، فانخرط في وسطهم إلى رجب وشروق، وغنّى من بعد طلعت إلى صعود رجب وشروق المسرح، وصاحب مكبرات الصوت رفع صوتها بالأغاني، وعدد من الشباب قدموا رقصات مختلفة كما فعلوا ليلة أمس وإحدى أقرباء شروق وصديقة لها صعدتا المسرح ورقصتا، وصعدت أصغر أخت لرجب ورقصت، وشارك عباس وطلعت مجموعات من الشباب رقصهم، طلعت أرقص رجبًا معه هو وحامد وأشرف وعبدالغني، ورقص رجب وشروق رقصة "سلو".

وانتهى الحفل، وظل عباس حتى خلا الشارع من كل المدعوين سوى حامد وأشرف وطلعت وعبدالغني وعمال الفراشة، وجلس طلعت بمفرده يدخن سيجارة ويمسح عرق وجهه، وزلف إليه عباس:

- أي خدمة مني قبل ما أمشي؟

- شكرًا يا عباس، تعبت معنا أنت.

- عيب عليك يا طلعت كفاية تقديركم لي، وسؤالكم عني...

- ما لك مستعجل؟ أقعد... اقعد معي، عامل إيه في دنيتك؟

- قلت لناس على شغل.

- أنا من ناحيتي معك لما تشتغل يا عباس.

- متشكر لك جدًا يا طلعت.

وسجل كل منهما رقم هاتف الآخر، وتناءى عباس عن الشارع، وبشر زميل سجنه ضبيعي في مكالمة هاتفية بأنه اِلتأم مع مجموعة أصدقاء من شباب القرية ستزيل عنه الشكوك، سيزورهم في منازلهم الأيام القادمة، يحسن سيرته بهم، وأنهما سيبدآن عمليات السرقة من القرية في القريب العاجل.

وفي الليلة التالية في شقة ضبيعي ببندر ديروط، نوى عباس القيام بأول عملية سرقة من القرية بمشاركة روني ابن خاله وضبيعي، وأمرهما ضبيعي باستخدام الخطوط مجهولة المالك لدي الشركة التابعة لها، وحدد عباس لهما وهيبة كهدف سهل التعامل معه لكونها امرأة وتسكن منزلها وحيدة بطرف القرية، ولا أحد يبيت معها من أخويها منذ أن أسكناها فيه بعد طلاقها، وأجل عباس سرقة البهائم من الغيطان نهارًا بعد أن كانت هدفهم الأول؛ لأنها تستوجب متابعة الهدف وجيرانه متابعة دقيقة لأيام وأنه سيقوم بالمراقبة ويشاركه فيها روني، ودلهما روني على منزل أشرف كهدف سائغ، لكن عباس أرجأه حتى يُقوي علاقته بأشرف وأصدقائه.

ولم يتوقع أشرف أن يطرق عباس باب بيته هذه الأيام... أحضر له أشرف عصيرًا وفاكهة ثم شايًا وفولًا سودانيًّا، ورمى عباس إلى إرساء قاعدة صداقة مع أشرف.

- أنا من يوم خروجي من السجن مكسور قدام الناس، وأنت فاهم في الأمور النفسية، معك حل؟

- انت توبت بينك وبين ربنا وإنها مرّة وعدت، صح؟

- طبعًا... طبعًا.

- باقي إنك تنسى الناس، والناس طالما هم سامعين عنك سمع خير أغلبهم معك.

- ومعايرة الناس لي بالسرقة بكرة وبعده؟

- ما دمت انت تُبت توبة صادقة يا عباس، صدقني، يوم ما واحد يعيرك ما يسببلك زعل أبدًا، تلقى نفسك ضاحك ولا هامك شيء.

- تمام، وأنا لو أي شيء ضايقني... أقعد معك ونتكلم.

- تشرفني في أي وقت يا عباس.

وخرج عباس إلى بيت رجب... واحتفى رجب به، ومائة جنيه من عباس له كنقطة عباس أولى بها منه، خرج من السجن من أيام ولا يعمل وبيتهم متعسر ماديًّا، لكن عباس تظاهر بالانكسار، وقبِلها رجب.

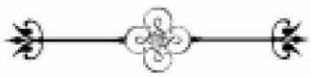

(٤)
إفتراء

طوال أيام بقاء دسوقي في البيت يتدبر فيما يمكن فعله بخفاجي وأدهم، الكبير دمه يسري في الحرام، والأصغر منه الحرام يسري في دمه، حضدا شوكته عدولًا عن تقويته، عيناه تغمضان بشدة وكراهية من قُبح استرجاع رؤيته خفاجي ببيت وهيبة، وصدى صوت أدهم يشقق صدره وهو يطرده من بيته، أمسك شومته، وتحيّر في أي موقف سيتخذه إذا عصاه أحدهما أو الاثنان، إن امتنع أحدهما عن الامتثال له يتوعده بالتبرؤ منه في المسجد وسط المصلين في الجمعة القادمة، أما إذا رفض الاثنان "اضربهم ضرب يكسرهم طول حياتهم"

كان خفاجي بضفر الترعة يبلل قطع من ليف النخيل بالماء ليفتل منها حبال في الساعة المتبقية إلى العصر ثم يطعم البهائم، غموض حال أبيه أسقط من يديه قطع منها، لا هو غاضب ولا هو هادئ، وقدماه المتسختان بالطين حتى ركبتيه عثّرتاه في الصعود من الترعة، وأومأ إليه أبوه برأسه

بالإتيان خلفه، فألقى قطع الليف بجوار زريبة البهائم، وغسل رجليه من سطل تسقى به المواشي، وانتعل حذاءه، وحرص على إبقاء مسافة بينه وبين أبيه، وتلاطمت أسئلة في رأسه، ما الذي يريده أبوه منه؟ وإلى أين ذاهب به؟ ولمَ في هذه الساعة؟ وهل الأمر خاص بعلاقته بوهيبة؟! " راقد فوق كتافي ليوم موتي يا أبوي، وعمري نظرة رضا منك ما طالعة لي، تنحل كيف معك يا أبوي؟ تنحل كيف...؟! آه... آه..." ودخل دسوقي الطريق المؤدية إلى بيت أدهم، وتوقع خفاجي أنه سيلومه ويذله قبالة أدهم.

ونداء دسوقي كأنه إنهار سقف البيت على رأس أدهم، طرده من البيت، والحين يناديه بقوة وجفاء "أكيد ناوي شر، استرها يا رب" أغلق باب غرفة نومه وبها زوجته وأبناؤه، وفتح باب البيت ويداه تنتفضان، حملق إليه أبوه بامتهان واستصغار، وخطوات دسوقي إلى المضيفة في صمت زلزلته وشوشت على سمعه وبصره، وصدم خفاجي بالباب أثناء دخوله، وكلاهما بَسَّط الموقف لنفسه، أصعب ما سيعاقبه به كلمات توبيخ واستهزاء، وأحكم دسوقي غلق باب المضيفة، وقوفهما إزاءه حول ملامحه كأنه متقزز من تقيؤ ثبت في حلقه، وصوَّب يده إليهما كالسيف، وكل منهما رفع رأسه من انحنائها.

- أنا يا كبير... يا كبير البيت من بعدي، من اليوم تقعد في شقتك معزز مكرم، وكل طلباتك مجابة، رجلك ما تخطي خطوة في الأرض.

وكاد خفاجي أن ينظر إليه بغضب وكلمة لا، لكنه نَكَّس رأسه وسكت، واستعظم أدهم سبب حكم أبيه على خفاجي " عامل مصيبة كبيرة يا خفاجي"

- وأنت يا متعلم... كان أملي فيك إنك تكون صاحب وجاهة ومركز يشرفنا، لكن اليوم كان آخر يوم تشتغل في وظيفتك... حسك عينك أشوفك في وظيفتك من بكرة، و...

استعر الغضب أدهم، وقاطعه:

- انت ناوي تخرب بيتي! أنا وظيفتي حياتي، وفيها ما أنا سايبها.

- أتبرأ منك ومن عارك يوم الجمعة قدام الناس كلها، أنا كنت متأكد أنت مكلب في الحرام للآخر.

- انت كبرت وتصرفاتك بقيت عجيبة وما تطاق.

هاج دسوقي ولَطَمَ أدهم لطمة عنيفة.

- احترم نفسك يا كلب.

انسكب الغل من وجه أدهم، ووقف خفاجي بينهما.

- إهدأ يا حاج.

- بلعه لسانه وأخرسه قبل ما تقول لي أنا أهدأ يا كبير.

- أنا وظيفتي شغال فيها لو إنطبقت السماء على الأرض.

- عضمك يتكسر أنا بيدي قبل ما تكسرني يدك الواطية.

ورفع دسوقي شومته إلى أعلي، وأمسك خفاجي ذراعي دسوقي، والتقف أدهم كوبًا من أكواب بمنضدة المضيفة، وضرب طرف منها بالحائط فكسره وهو يقول:

- وأنا اتحملت فوق طاقتي، ولو أصريت تضربني أنا واقف لك بكل قوتي.

وتطاير لهيب غضب دسوقي وحاول التملص من يدي خفاجي.

- سيبني أموت الكلب الحرامي.

هزّ خفاجي والده بعنف وغضب.

- انت تعبته، هو انفجر من ضغطك عليه.

تضاعف غضب دسوقي، وتفل في وجه خفاجي.

- حتى انت يا...

عصر خفاجي شفتي أبيه بيده، فضربه أبوه بقبضة يده الحرة في عينه، وارتد خفاجي إلى الوراء، وهوى دسوقي بالشومة على كتف خفاجي فارتمى خفاجي على الأرض، وأطلق أدهم الكوب على أبيه، فخفض دسوقي رأسه ومرره، وانقض على أدهم بالشومة إلى رأسه، وانحنى أدهم وتلقاها بظهره، وقبل أن يضربه دسوقي الثانية ركله خفاجي في ظهره بباطن قدمه، وأكبّ دسوقي على الأرض، واختطف الشومة من دسوقي عند ارتطامه بالأرض، وانهال أدهم برجله على أبيه بضربات سريعة في كتفه وجنبه. انهارت أعصاب دسوقي، وشرد شرودًا سحيقًا، كأنه لا يدري بما حدث، ولا من معه في المكان، ولا أين هو.

وفتح خفاجي الباب، ووقف دسوقي وخرج وعمامته مفككة، وأمسك خفاجي بيده حتى أخرجه من باب البيت، وإلي أن عاد دسوقي إلى بيته لم يلقِ السلام ولم يرده على أحد. وكانت سكينة في المطبخ تنظف الأواني وسمعت صوت دسوقي، ظنت أنه يناديها... تعجبت سكينة لجلوسه بأرض الغرفة.

- محتاج حاجة يا حاج؟

رفع دسوقي رأسه بتباهٍ ملحوظ.

- أنا كل المحتاجه وصلت له.

- أنا سامعاك وأنت تكلمني...

روابط ضوء مغاير / الكاتب رضوان

- أنا لما كنت العمدة كانت الناس كلها تطيعني.

اندهشت سكينة متألمة.

- ما لك يا حاج؟!

وقف دسوقي، وجلس على الدِرجة حاملة مرآة الغرفة.

- أقول لك يا سكينة أيام ما كنت عمدة كانت الناس كلها سامعة كلامي وتحسب لي ألف حساب، حتى خفاجي وأدهم، تقول لي ما لك!

هرولت سكينة إلى غرفة حامد.

- الحقني يا حامد، الظاهر إن الحاج صابته الحمى.

فزع حامد وجرى إلى أبيه.

- أبوي... سلامتك... حصل إيه؟!

- حصل إني لما كنت أغنى واحد في الناحية كلها كانت الناس كلها محترماني ومقدراني.

ذهب به حامد إلى طبيب اختصاصي في مداواة الحمى في بندر مدينة ديروط... نفَّذَ حامد أشعة وتحاليل طلبها منه الطبيب لأبيه... فحص الطبيب الأشعة ونتائج التحاليل.

- للأسف يا ابني أبوك مريض من مرض نفسي أو مرض عقلي.

طوقه الهم، وشعر بالاختناق، وحبس دموعه، وتنهد تنهيدات يخفف بها الضغط عن نفسه ويملك بها اتزانه، دله الطبيب على طبيب متخصص في الأمراض العقلية، تحدث مع أشرف فيما أطلعه عليه الطبيب، والمكالمة أذابت لفائف قلب أشرف، كان في موقف سيارات قريتهم ببندر مدينة ديروط، لحق بهما وهما متجهان إلى غرفة الطبيب، وخلال تشخيص الطبيب لحالة دسوقي سأله:

- أخبار الشغل معك إيه يا حاج دسوقي؟

- تمام، قضيت عمري كله وأنا شغال، ولما كنت مهندس زراعي وفلاحين بلدنا احتاجوا شيء يقووا به المحصول صنعت لهم السماد من الحجارة.

وصف حامد للطبيب ملامح شخصية أبيه، وفصَّل للطبيب بدقة كل ما يعرفه عن أبيه، وكل ما طرأ على أبيه في الأيام الأخيرة وكتمانه مشاكل سببها له أخواه، وأوضح الطبيب لحامد وأشرف إصابة دسوقي بمرض الفصام، وأنه مرض عقلي وليس نفسي، نتيجة حدوث خلل بخلايا المخ، وأن المرض قلما يأتي فجأة في عمر متأخر، وفي حالات دسوقي وأمثاله تكون أسبابه مشكلة بالغة الخطورة مباغتة للمريض، وكتب الطبيب أدوية لدسوقي، ونبّه حامد إلى توفير الرعاية الكريمة الآمنة له، وضرورة حل المشاكل المعلقة في حياة دسوقي، خاصة المشاكل غير المعروف أسبابها مع أخويه، وحذره من بدء استهانة أحد أفراد الأسرة بأبيه أو التلاعب به، وحدد لهم الفحص القادم بعد أسبوع من اليوم.

- هو أبوي ممكن يشفى من المرض، أو يعيش فيه المرض باقي عمره مع العلاج يا دكتور؟

- نعمل المطلوب مننا والشفاء بيد ربنا.

تخوف حامد على أبيه من أن يستخف به أحد، أو يسخر منه أو يهينه أحد، فلن يصارح أحد بحقيقة مرض أبيه، وشدد على أشرف في إكنان الحقيقة، وكانت صبرية ومحمد وغانم مع سكينة في البيت والانتظار استنزف صبرهم... أكد لهم حامد مرض أبيه بالحُمّى، وعمته صبرية وغانم أبوه يناجيهما كل أسراره ومشاكله وليس لديهما كلمة ترشده إلى ما يبتغيه، إذًا مشاكله مع خفاجي وأدهم.

دارت الأرض بخفاجي بقول حامد له إنه سيجلس معه وأدهم بعد قليل؛ إن عرف حامد ما فعلاه بأبيهم وأسبابه، فستحدث مشكلة عسيرة، قد يسبهما، أو يضربهما، حامد همه الأول والأخير أبوه، وخبأ خفاجي سكينًا في جيب جلبابه، تحسبًا لإمكانية وقوع أي فعل من حامد لو كان علم من أبيه بأفعالهما.

- أرجوكم تحلوا مشاكلكم مع الحاج لأن الدكتور قال لي إن مرضه بسبب مشاكل كبيرة حصلت معه.

نظر خفاجي أسفله والتقط أنفاسه، وأدهم أدار وجهه إلى حامد.

- أنا الأيام الأخيرة مبعد عنه؛ لأنه كل مرة يتعصب علي يا حامد وأنا حبيت أريحه مني.

- وأنا وأبوي كنا في الأرض واختلفنا في موضوع بسيط، لكنه خاص يا حامد، وهو شارط على بالكتمان، وإني أبعد عنه لما يروق ويصالحني بنفسه.

- لو مشكلة حاصلة بين واحد منكم وبين الحاج يتأسف له على المشكلة ومن غير أنا ما أعرف شيء.

- قلت لك ولا معنا مشكلة ولا حاجة يا حامد!

- كلم أخوك بهدوء يا أدهم، صدقنا يا حامد... لو مشكلة موجودة وكلامنا يساعد أبونا على الشفاء لازم نتكلم، لكن ما باليد حيلة، ويمكن الحاج معه مشكلة مع غيرنا.

ما صدر منهما عندما أصرَّ أبوهم على إعطاء عمتهم إرثها من الأرض كان كافيًا ليكذبهم ولو صدقوا، مشاكل عصبية قائمة لهما مع أبيه، كلامهما على محمل الكذب، حاول الحصول على أي معلومة من أبيه،

كلما سأل والده سؤالًا أجابه عنه بما لا صلة له بالسؤال، أو يأخذ من السؤال كلمة ويتقمص دور أو شخصية في مجالها، ساعة كاملة دون معرفة معلومة من أبيه.

وجلس حامد مع أشرف وعبدالغني ورجب وطلعت على الكنبة خارج البيت، آزروه، وعزموا بأنفسهم على تقديم أي مساعدة يحتاجها... وترددت خشخشة بندقية دسوقي في رأس عبدالغني كما في يوم تحرُش شاب من قرية مجاروة بأخته لفظيًّا، وشد من يدها حقيبة كتبها خارج المدرسة وهي في الصف الثالث الثانوي العام، وهجم عبدالغني وحامد وطلعت وأشرف على الشاب في قريته، وضربوه بجنزير وسلسلة حديدية وشومتين... أبلغهم صديق لطلعت من قرية الشاب أن الشاب سيهجم عليهم بأهله وبسلاح، طلبوا من دسوقي مسدسه وبندقيته... أمسك مسدسه لحامد، وأعطى عبدالغني وطلعت وأشرف ثلاث بنادق من بنادق أبناء عمومته، وحمل هو بندقيته، ونصب كمينًا بجوار مدخل قريتهم للهاجمين، وأطلقوا عليهم الرصاص من كل اتجاه ورَدوهم إلى قريتهم، استقصى أهل المتحرش خطأ ابنهم وتصدي دسوقي لهم... تصالحوا مع دسوقي ووالد عبدالغني، وزيارة دسوقي لرجب بمبلغ مالي وافر قبل كل زفاف أخت من أخته كان رجب يستعيدها في ذاكرته دائمًا، وما إن انتهت يستعيد أخرى مستمتعًا بحضورها ما عدا هذه المرة، ادعى لأصدقائه أنه سيتصل بزوجته، وفي بقعة مظلمة بالشارع بكى كاتم صوت أنينه، واستدعى طلعت يد دسوقي وهي تلفح وجه خفاجي، وبصقه على أدهم عندما تصدان له ممانعين تملك أمه إرثها، ومن اتصال حامد بأشرف وأشرف بين عينيه ساعة لجوئه إلى دسوقي بعد اعتراض أخويه على ذهاب

أحدهما معه إلى القاهرة لخطبة نورا رافضين زواجه بها... نصحهما دسوقي بطواعية أشرف وناقضاه، فسافر معه إلى القاهرة مرتين.

وبذريعة الاطمئنان على صحة دسوقي طرقهم عباس... ناوأت كل أولوياته سرقة البهائم من الأراضي، مرض دسوقي فرصة ربما لا تتكرر، والناحية التي بها مواشيه نائية، وكل من فيها يعتمدون عليه في حراسة زرائبهم، وتبعد عنه الشك في السرقات التالية لها، أثناءها سيكون مع حامد أو أشرف أو رجب أو طلعت أو عبدالغني كما رَتّب، وما إن قام عباس من بينهم أعرب لهم عبدالغني عمّا به له.

- أنا مخنوق من عباس ياجماعة وحنجرتي مسدودة به، حاجة جابرانا عليه؟!

وخالفه أشرف، السجن نار والمذنب الخارج منه دخانه، إن ارتقى إلى أعلى رجع الماء صافيًا باردًا، وإن أُغلقت عنه المنافذ أفسد وشوه، وإتاحة مساحة بينهم له ستحميه من مزاولة السرقة مرة أخرى، إذا نجحوا في إعادة دمجه في أهل القرية، وحامد وطلعت أيّدا أشرف، ورجب مع ما سيتفقون عليه، وسلم عبدالغني لما توافق عليه أشرف وحامد وطلعت.

وفي الصباح جاءت أحلام لتطمئن على أبيها وتعينه على مرضه، وخالفت حامد في أن والدها مصاب بحمى، ائتمنها حامد على حقيقة مرض أبيه؛ فهي تدري بأعراض كثير من الأمراض وأدويتها، بيَّن لها أسباب إخفائه عن الآخرين، وأطْلَعَ أحلام على دور خفاجي وأدهم في مرض أبيهم، وإنكارهما مشاكلهما معه في حين أن إقرارهما بها أحد أدوات العلاج، تساقطت نفسها غمًا وأسفًا، وذمت خفاجي وأدهم.

(٥)
إختفاء

يوم الأربعاء أرغم حامد نفسه على تناول وجبة العشاء مع أبي هويدا، قدمت هويدا إليها فاكهة وعصيرًا، وأجلستها أمها قِبَل حامد، أوجز حامد في حديث ووقت مجلسه بشكل لائق، ولم تلج نفسه إتمام الزواج من هويدا، وتجاوبه مع انتقاء الذهب كان يلزم به نفسه الصبر قدر المستطاع، وعاد حامد إلى البيت وأبوه مستلقٍ على الفراش، وحدثه بما قام به الليلة وما سيفعله غدًا وكان أبوه يغادر وعيه ويتلفظ بما لا علاقة له بحديثه إليه، أو يتقمص شخصية ما.

في ظهر اليوم التالي اختص حامد سيارة إلى بندر ديروط ومعه هويدا وأمها وأحلام... تنقلوا بين بعض محلات بيع الذهب، وفي محل تشتري منه كل بنت من عائلة هويدا ذهبها اختارت هويدا وأمها كل القطع بمشاركة طفيفة من أحلام وحامد، القطع التي تم اختيارها ثُمنت بما يزيد عن ثمانين ألف جنيه، والمبلغ المتفقون عليه لشراء الذهب سبعون ألف

جنيه، طلبت أحلام من الجوهري تقليل وزن بعض القطع، ففعل إلى أن انخفضت القيمة إلى خمسة وسبعين ألف جنيه، وحجم قطع الذهب وقيمتها استهويا أم هويدا.

- رأيك يا عريس...؟ غلبنا الراجل معنا.

فوجيء حامد وخجل من الاعتراض على القيمة الأخيرة وارتضى بها... وخلال ثوان أخذ قرار إنهاء ارتباطه بهويدا، توفر له مسوغ يحجب استياء أبيه منه، ابتعد عن محل الجوهري ومعه أحلام.

- عرفيهم إن علاقتي بهم انتهت أول وآخر.

- أهدا يا حامد... ونتكلم في البيت.

- صلتي بهم خلصت يا أحلام.

قطع حامد أحد الشوارع الجانبية، ولامت هويدا أمها بنظرة سريعة إليها على إغضابها حامدًا بمحاولتها شراء ذهب بقيمة أكثر من المتفقين عليها.

- حامد... يا هويدا... حامد قال لي أقول لك الجواز قسمة ونصيب.

وعادت أحلام وحامد إلى البيت، استيقظ دسوقي من نومه... جثا حامد على ركبتيه بجوار فراش أبيه، ذكر له شروع أم هويدا مخالفة شروط الاتفاق، وأشهد أحلام على صدقه، وظل حامد بجوار أبيه نصف ساعة يتبادلان الحوار، تقمص خلالها دسوقي العديد من الشخصيات وأكثر من الهذيان بقدر ملحوظ.

ومع غروب الشمس أتى أشرف إلى حامد... قرر أشرف عرض دسوقي غدًا على أحد الأطباء الجامعيين بمدينة أسيوط، حالة دسوقي كل يوم من سيئ لأسوأ... كشف لهما الطبيب أن حالة دسوقي تدهورت؛ لأن

المرض داهم دسوقي بكل قوته؛ لأن سببه أو أسبابه كانت شنعاء، أهاب بهما الطبيب ألا يهملا في إعطاء الأدوية لدسوقي، وأن يعتنيا به أفضل الاعتناء، وأن تُزال كل مشاكل دسوقي، وعرض عليهما الطبيب تحويل دسوقي لمستشفى الأمراض النفسية والعقلية بجامعة أسيوط، ورفض حامد رفضًا قاطعًا، وكرر حامد للطبيب نفس السؤال الذي ألقاه على الطبيب السابق عن الوقت الذي يحتاجه أبوه للعلاج من المرض.

- نحاول يا ابني... والتوفيق من ربنا.

ومن خروجهم حتى دخلوا من باب البيت كانت الهموم والتوجسات تموج بصبرية وسكينة وأنعام وهن يترقبنهم، المتعارف عليه لسكينة وصبرية إذا اقتضى الأمر ذهاب المريض لأحد الأطباء بمدينة أسيوط، أنه في مرحلة متأخرة من المرض، ودفقت دموعهن وعلا أنينهن ممزوجًا بكلمات عطف ومدح ودعاء لدسوقي.

ونادى حامد خفاجي... نزل خفاجي... وتوجه معه إلى بيت أدهم... نكِرا الإثنان حسبان حامد مسؤليتهما عن مرض أبيهم، تذمَّر حامد من تفضيل أنفسهما على أبيهما وإهمالهما إياه مريضًا وفي استطاعتهما مساعدته على الشفاء وهما مسببان مرضه.

- أنتم نفسكم نفسكم... أبوكم كسرتوه وجبتم له المرض في عقله، و... ولا هاممكم.

تعجل أدهم في الرد على حامد، وصمت خفاجي حتى يكف أدهم عن الكلام.

- أبونا مرضه إيه يا حامد؟

- الفصام يا أدهم بيه.

- أنا وخفاجي أبرياء من مرض أبوك يا حامد.

وتصنع أدهم ارتداء ثوب الواقعية وسداد الرأي في أمر أبيهم، بأن مرض أبيهم من الأمراض طويلة الأمد، وعين الرشد في إنزال أبيهم بإحدى المستشفيات، يتداوى فيها حتى يُشفى، ويُزاول حامد عمله كما كان، ويخطب، ويتزوج، وغضب حامد غضبًا شديدًا واستنكر ما اقترحه أدهم عليه.

- لا يمكن أعمل أي شيء غير لما أبوي يتعالج يا أدهم.

- وقتك ومالك في غبرة يا حامد.

أدهم يمكر به لإقصاء أبيه عن البيت، فحدق بأدهم في كمد غيظ.

- حل مشكلة الحاج وأنا أرتاح يا أدهم.

- أنا لمصلحتك، ومرضه لا لنا ذنب فيه ولا عندنا علاجه.

وأمضى ليله على فراشه منهكًا من السفر المتواصل ذهابًا وإيابًا إلى مدينة أسيوط، حتى أيقظته سكينة ملهوفة بعد الفجر بقليل، بسبب خروج دسوقي من المنزل قبل استفاقتها من النوم، ذُعر وجرى إلى الشارع في جلباب نومه... طرق باب شقة خفاجي طرقات قوية متتابعة... سأله حامد عن أبيه... صَعِد إلى سطح المنزل... هُرِع حامد إلى بيت غانم... أسرع إلى بيت عمته صبرية... روعت صبرية بظنها إصابة دسوقي بأذى لفقده القدرة على الإدراك... ركض إلى بيت أدهم... انطلق إلى الأرض، وحينئذ كان ضوء الشروق انبلج، طاف على كل قطع أرضهم وبالأراضي المجاورة لها، وفى همة قصد حامد المسجد الذي كان دائمًا يؤدي فيه دسوقي الصلوات، وكفّ عن الجري حتى لا يسأله الناس عن سببه ويعلموا

فقدان أبيه عقله وتتغير معاملتهم إياه... مشى حامد إلى مسجد آخر كان والده يقيم به صلاة كلَّ عدة أيام، ومنه إلى بيتَي خاليه المتوفيين...

وبعد اتصال هاتفي من طلعت بحامد، لحق به طلعت في شارع منزل أحلام... فزعت أحلام إثر سؤال حامد لها عن أبيها... سألا سائقي سيارات الأجرة في الساحة... ترجاهم أن لو رآه أحدهم يعود به؛ لأنه مصاب بحمى وغير قادر على الانتباه وأيام وسيتعافى من مرضه.

كلٌّ من حامد وطلعت وأدهم وخفاجي واثنين من أبناء خاليه جابوا في عدد من شوارع القرية، تقصوا جميعها عن دسوقي، سألوا عنه كل معارفه، أسند حامد إلى خفاجي وأدهم وطلعت تفقد أبيه في قرية مجاورة، وألزم نفسه بالبحث عنه في أخرى... سأل عن أبيه من أتيحت له فرصه سؤاله، يسجل رقم جوال من يطل الحديث معه، وصورة لأبيه بهاتفه أرسلها إلى بعضهم، انتقل إلى قرية أخرى...

رشَّح أشرف لحامد الأماكن المألوفة له أو أماكن ترددَه عليها ولو مرة واحدة من قبل، وتابع حامد بحثه في قرية أخرى، خُيل إليه أن الوقت من الذروة إلى الغروب صرمته الأرض في دقائق، الوقت هو الشيء الوحيد الذي لا يتوقف وكلما احتجت إليه شعرت بفراره، أحيانًا يظهر لك الليل ما أخفاه عنك النهار، غرسها حامد في رأسه ودوام البحث عن أبيه بقرية أخرى، يأمل أن تقع عيناه على أبيه كلما دقق ببصره في أُناس ما.

عقب غروب الشمس كان كلٌّ من أدهم وخفاجي في بيته، مسوغَين هذا لحامد بإصابتهما بإرهاق شديد، تضجر من مكالمتيهما واستأنف يبحث عن أبيه حتى منتصف الليل، كانت القرية كعادتها في هدوء شبه تام وهو عائد مع أشرف ورجب وطلعت وعبدالغني، لا أحياء في شوارعها

ضوء مغاير / الكاتب علي رشوان

سوى قطط وكلاب تأكل من أكوام قمامة، وثعالب تتحسس شوارع لتتسلق منازل منها، ويرابيع تتنقل من بيت إلى آخر من فتحات صغيرة حول أبوابها، أو شخص خارج إلى أرضه ليرويها، أو راجع بعد ريها أو من المقهى، ولا أصوات إلا عواء ذئاب في أراضي القرية، ونقيق ضفادع في الترعة الضحلة المتعرجة بين شوارع القرية.

ما تبقى من الليل قضاه حامد في غرفته بين نحيب صبرية وتأوهات سكينة وتأجج قلبه وتمزق أفكاره بحال أبيه، هل أبوه عزيز أم مُهان، مستور أم مكشوف في العراء تحت البرد القارص، جائع أم شبِع، تناوب التفاؤل والتشائم على حامد، في لحظات يتوقع أن يدخل أبوه البيت الآن، أو سيعثر عليه غدًا، وفي نوبات يستبعد إيجاد أبيه إلا بعد زمن طويل أو فقدانه مدى الحياة، سفه نفسه لأنه لم ينقل نسخة مفتاح الباب الرئيس للبيت التي استخدمها دسوقي من أحد أدراج منضدة جهاز التليفزيون إلى مكان آخر بعد مرضه، "يا ترى يا أبوي أنا سبب في توهانك بإني كنت أضعف من إني أحافظ عليك وأنت في يدي، أو خوفي عليك زيادة عن اللزوم لما رفضت أسكنك في المستشفى" والدنيا بشسوعها والليل بخلائه وكل إنسان قريب منه كانوا أضيق وأظهر وأبعد من أن يكون فيهم ملاذ له من تنكيل ذنبه به، وكانت الليلة طويلة بطيئة ثقيلة عنيدة مُملِة عليه، وخزته أشواك اليأس، قد يكون أبوه في طريق لن يعثر عليها، أو أُلمَّ به في حادث، أو قد تكون وافته المنية، وكابد حامد زوال الأمل، شعر بأعضاء جسده تتهاوى، اليأس نفق البؤس والتفاؤل طريق المراد، صارع حامد تشاؤمه وهو يستجمع همته، عزم ألا يترك له ثغرة داخله، ارتأى والده

ينتظره لينقذه من ضياعه ويداويه من مرضه، وأزال الفجر حوائط الليل القابضة على حركة حامد.

استحث أشرف وعبدالغني ورجب على الذهاب إلى أعمالهم فرفضوا... توجه هو وأشرف إلى محطة قطار المدينة، وسأل حامد الكثيرين من المنتظرين للقطارات عن أبيه ويريهم صورته من هاتفه، ولجأ أشرف إلى بعض أصدقائه ومن لديه تعارف معهم ممن يداومون على أعمالهم كل يوم بمدينة أسيوط لعلهم يفيدونه في أمر دسوقي... أعطاهم صورة دسوقي من هاتفه، طبع حامد صورة أبيه على ورق مدون رقم جواله ورقم جوال طلعت أعلاها، طبع منها مئات من النسخ للصقها بالشوارع والأماكن العامة وبجدران المؤسسات الحكومية، تحرى حامد وأشرف عن دسوقي في المستشفى الحكومي والمركز الطبي ومواقف السيارات ومركز شرطة المدينة بديروط، وأبلغ حامد الشرطة باختفاء أبيه.

ختم أدهم بحثه عن أبيه في الثالثة عصرًا، علل أدهم لحامد إنهاءه بحثه عن والده بأنه بذل كل جهده في التنقل من نقطة شرطة إلى أخرى بقُرَى مدينة ديروط، دأب حامد وأشرف على تفحص شوارع المدينة... أخذ منهما طلعت وعبدالغني ورجب نسخًا من صورة دسوقي وعادوا إلى الأماكن التي كانوا فيها، وفي الخامسة عصرًا فسَّر خفاجي لحامد عودته إلى البيت بمشقة أنهكته من قريتين كبيرتين، الساعة كانت تلتهم الوقت بمقياس إحساس حامد إلى العاشرة مساءً، فضّل حامد ألا يجهد أصدقاءه إلى ساعة متأخرة من الليل، ورجع بهم إلى قريتهم.

وفي القرية طلعت قابل عباسًا في أكبر مقهى بها، وأكثرها من حيث عدد المترددين عليها، اختارها عباس بمقصد مشاهدة الكثير من شباب

رواية ضوء مغاير / الكاتب علي رشوان

وشيوخ أهل القرية له وبصحبته طلعت، حذِر من شك طلعت وأصدقائه في تقاعسه عن العمل وسرقة من سيسرقهم، زعم عباس أن صديقين له في القاهرة سيوفران له عمل، وأحفى عباس في مشاركتهم في البحث عن دسوقي من صباح الغد.

واجتمع عباس وضبيعي وروني بشقة ضبيعي، وأعدوا خطة محكمة لسرقة بهائم والد عبدالغني من زريبته المجهزة بالناحية التي بها زريبة دسوقي، وتخير عباس تنفيذ السرقة غدًا في وقت القيلولة، كان أهم دوافع اختياره فرصة غياب دسوقي عن أرضه.

(٦)
بحث شاق

صباح اليوم التالي أقبل عباس إلى حامد وطلعت وأشرف ورجب وعبدالغني بمضيفة بيت محمد، حامد وأشرف مرتدين جلاييب وعلى أكتافهم عباءات، وعبدالغني وطلعت وعباس في بناطيل وأقمصة فوقها سترات شتوية، اقترح حامد على عباس اصطحاب طلعت فوافقه، ورجب رافق عبدالغني، وأشرف سيضع صور أبيه في شوارع من بندر المدينة.

اعتذر أدهم لحامد عن البحث عن أبيه بإلحاح مديره عليه كي يحضر في عمله مراعاة لأمور الأهالي المعطلة منذ يومين من تغيبه عن العمل، ولم يقل له أدهم بأنه سيواصل البحث عن أبيه بعد عمله "كانت أمنيتك إنك تخلص من الحاج وتحققت يا أدهم"

وزع حامد صورة أبيه بين كثير ممن ينتظرون القطارات برصيفي محطة قطار ديروط، وكانت رحاب إحداهم بمقعد من رصيف القطارات القادمة من الشمال إلى الجنوب توقف بالمحطة أحد القطارات المتجهة

إلى الجنوب، اعتزم السفر إلى بندر مدينة أسيوط، في القطار حاول إعطاء صورة أبيه لكل من يستعد للنزول أو يصعد من محطة مدينة القوصية التى تحد مدينة ديروط من الجنوب، ومحطة مدينة منفلوط التى تجاور القوصية من الجنوب ومدينة أسيوط من الشمال، ولكل ركاب القطار، غادر القطار محطة مدينة منفلوط، قدم حامد صورة أبيه إلى رحاب، أخذتها رحاب مرة ثانية.

- لو سمحت... ممكن أعرف صاحب الصورة؟

- أبوي يا أستاذة، صابه مرض الفصام من أيام.

- أنا شغالة في إعداد البرامج في القناة السابعة، ممكن أساعدك في البحث عنه.

- ربنا يبارك فيكِ يا أستاذة.

- محتاجة صورة بطاقتك الشخصية، وصورة بطاقته هو، وصورة من محضر الشرطة لو كتبت بلاغ.

- كلها موجودة لكن في البيت.

- الأرقام المكتوبة في الصورة خاصة بحضرتك.

- الفوقاني رقمي، والتحتاني رقم ولد عمتى.

- أكتب لك رسالة من رقمي، وأعطيني صور الورق في "الواتس آب".

- متشكر جدا لِاهتمام حضرتك.

- ربنا يعينك، وأبوك يعود لك بسرعة وسلامة.

- انت من محافظة ايه؟ أكتب عنوانكم في الصورة؟ كتابة العنوان تزيد اهتمام الناس.

وامرأة كانت جالسة مقابل رحاب تركت مقعدها للنزول.

- تفضل... اقعد.

- اكتب العنوان بيدي في كل نسخة، أنا من أسيوط، من قرية في ديروط.

- تشرفت بحضرتك.

- أنا من مدينة ديروط، اعمل إعلان ممول في مواقع التواصل الاجتماعي.

- تشكري على الفكرة.

- أنت نازل ايه في أسيوط؟

- مستشفي الجامعة، وفي موقف الأزهر ومستشفي جامعة الأزهر، وحي السادات، انتِ تأمري بأي خدمة؟

- متشكرة، لو خطرت علي فكرة ممكن تساعدك أكتبها لك.

- ربنا يبارك فيك.

- ارجع في أي قطر قبل العصر لأن ركابهم طلبة من كل مكان في ديروط والقوصية ومنفلوط وملوي ودير مواس.

- عارف.

- حضرتك كنتِ في الجامعة؟

- كلية التربية... لغة عربية...

تعرفت من حامد على مهنته وأفراد أسرته ومشاركة أصدقائه له في البحث عن أبيه، ولم يسألها عن اسمها، وتملُّك بحثه عن أبيه له كان مبعث راحة لها، وأشفقت على حامد، وفي محطة أسيوط.

- محتاجة أي حاجة يا أستاذة؟

- متشكرة جدا، هو اسم حضرتك إيه؟

- حامد.

وخرج من القطار إلى مقاصده، كان يعطي المارين وسائقي السيارات الصورة وركاب كل سيارة صورتين ويعد من يدله على صاحبها بمكافئة مالية، هدفه كان جذب انتباههم لملامح أبيه، بعض الناس كانوا يلقون الصورة على الأرض ومنهم من يعطيها لمن بجانبه دون النظر إليها، وعند باب من أبواب مستشفيات الجامعة، صُوَر عدد من موتى ومصابي الحوادث مجهولي الشخصية بمستشفيات جامعة أسيوط، انعضت قلبه ورعب من أن يكون أبوه على حال مماثل.

وفي محطة قطار أسيوط ألصق صورة أبيه بجوار أبواب المحطة وبأعمدة مظلات مقاعد انتظار بأرصفة المحطة.

وفي تلك الأثناء دخلت رحاب إلى المحطة بعدما أنهت مقابلتها مع مسئولين للإعداد للقاءات تليفزيونية معهم عن أزمة نقص كيماويات التسميد وغلو أسعارها، ووقعت عيناها على صور دسوقي، أعملت عقلها للعثور على نصائح تقدمها لحامد تعينه في العثور على أبيه، ظهر حامد على الرصيف، مشت إليه.

- انت لزقت صور على حيطان المدارس الفنية في ديروط؟

- لا... متشكر على تنبيهك.

قاطعه رنين هاتفه المحمول من رجب... سُرقت بهائم والد عبدالغني، زفر حامد زفرة طويلة وأمر رجب بملازمة عبدالغني، وواسى عبدالغني وحثه على الصبر والاحتراس من حوادث الطرق في عودته إلى البيت، وضرب جواله بكفه الخالية.

- ربنا يجعله خير، إيه زعلك؟

رواية ضوء مُغاير/ الكاتب علي رشوان

. واحد صاحبي مواشيهم سرقتهم حرامية من الأرض.

. ربنا يعوضهم، في عز الظهر؟!

- للأسف... أول مرة تحصل من سنين.

- هون على نفسك، كفاية عليك همك، وتفاءل خير، ممكن يعرفوا السارق، أو الشرطة تعرفه.

- سرقة في النهار، يعني احتمال كبير إن واحد شاف السارق أو عرف أي معلومة عنه.

- أتمنى إنه يحصل، صعب...

قام حامد بما فعله أثناء قدومه وأضاف إليه لصق صورة أبيه داخل عربات قطار الثالثة عصرًا... استمر هو وأشرف يسألان عن دسوقي ويثبتان صورته بجدران المدارس الفنية وغيرها في مدينة ديروط.

في أول الليل، حامد وأشرف وطلعت ورجب وعباس وخفاجي زاروا عبدالغني ووالده لمؤازرتهما، وكان خفاجي وجيران وقرباء لهما معهما وهما في خجل وحزن وغضب. ومن فعلها في هذا التوقيت؟! سؤال بلا إجابة ولا احتمالات، وليس له سحنة، وبيتر من عزة نفسيهما.

وخرج خفاجي مع حامد، وعند ناصية شارع بيتهم وضع يده على كتف حامد.

- المواشي والأرض محتاجة لراعي يا حامد.

- شوف الصح وأعمله.

- واحد مننا يراعيهم.

- راعيهم أنت.

"أنت وأدهم عجينة واحدة" قالها بعينيه لخفاجي، وأتاح حامد لجواله الاتصال بشبكة المعلومات، فوردت إليه رسالة من رحاب تذكره بإرسال صور الوثائق... أرسلها حامد إليها، واستغرق في تأمل صورة لأبيه محافظ عليها أبوه بصندوق مقتنياته الشخصية، كانت لأبيه في بداية الأربعينيات من عمره، وجهه ممتلئ، عيناه واسعتان، شاربه مخفف، شعر رأسه منسدل إلى الخلف وبعضه شائب يضفي عليه وقارًا، الذكريات الحسنة تؤازر فاقدي أحبتهم. برق في مخيلته أمه قبل وفاتها بأيام حين قالت له: "أبوك راجل ولا كل الرجال، طول عمره شايلني فوق راسه، محترمني، ومقدرني، ومعززني بين الناس، وصيتي لك أبوك يا حامد، إياك أبوك يتبهدل من بعدي" ترقرقت عينا حامد، وتذكر والده وهو منزوٍ على نفسه على سلم البيت بعد تكفين أمه يُجهَش بالبكاء.

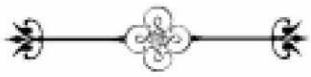

(٧)
أزمة

في صباح اليوم التالي أقسم حامد بالله في منزل رجب ألا يخرج أشرف معهم ويذهب لعمله، وأيده رجب وطلعت وعباس وقاية لأشرف من وقوع ضرر عليه، وعارضهم أشرف، وتزمت حامد وكلف أشرف بالسؤال عن أبيه في مستشفيات جامعة أسيوط، واستحسن أشرف إنهاء معاندته حامدًا، لا طائل منها، ورافق عبدالغني حامدًا يبحثان عن دسوقي في بندر مدينة ديرمواس وقراها التي تحد مدينة ديروط من الشمال، وأولى مدن محافظة المنيا من الجنوب.

وعباس لزم طلعت ورجب إلى بندر مدينة ديروط، وأجلسه طلعت في (التوكتك) خارج إحدى المقاهي، وفيها طلعت أعطى سراجًا المبلغ المالي لتوظيف رجب، واستعطف سراج كي يسرع في توظيف رجب لإفلاس بيته من المال بعد بيعه ذهب زوجته واستدانته جزءًا من المبلغ.

- ارفع راسي بتوظيف رجب بسرعة وأنا أدل أزيد من عشرين واحد عليك.

- رجب اعتبره متوظف يا طلعت.

- عشمان خير يا سراج بيه.

بحثوا عن دسوقي في القرى الشرقية بمدينة ديرمواس حتى العاشرة مساءً، عاد رجب إلى بيته ولم يجد شروق، حاول التواصل معها هاتفيًّا لكنها كانت متحيرة وقلقة من الرد عليه، وألقت محمولها بفراشها في بيت أبيها، ومشت خطوات متقاطعة يمينًا ويسارًا وإلى الأمام وإلي الخلف، ثم ردت:

- أنا في بيت أبوي يا رجب.

- خير...؟

- أبوي زارني في البيت، وسألني عن الدهب...

بكت

- أصر على إني أسيب البيت وأقعد معهم، وراسه وألف سيف إني قاعدة معهم لما انت تشتري لي الدهب.

أبصر رجب أنه لا بد من سرعة تسوية الخلاف، ذهب إلى بيت سطوحي، بيت مبني مِن الطوب اللبن والطين وسقفه من جزوع النخل وسعفها، أذنت له أم شروق، وكان سطوحي على دكة وسط الصالة فأدار وجهه عن رجب.

- المفروض كنت تكلمني الأول يا عمي...

- الصح إنك كنت قلت لي قبل بيع الدهب.

- أنا وشروق واحد يا عمي، مرتي ومصلحتنا واحدة، وهي قالت لك سبب بيعه.

- لا حبلت ولا ولدت، وانت تبيع الدهب!

- الدهب كتبه المأذون ومحفوظ، وأنا نيتي عمار يا عمي.

- اسمع، علي الطلاق إن ما اشتريت الدهب ما هي راجعة...

- كيف؟!

- بطريقتك.

لم تغمض عينا رجب حتى الصباح، فاعتذر إلى حامد في انقطاعه اليوم عن البحث معه عن والده، تقبله حامد، وأهاب برجب ألا يتغيب عن عمله ابتداء من غدا، وشعر حامد بأن رجب يعاني شيئًا ما، وسأله عمَّا به، وحكى له رجب.

- وطلعت كلم سراج يرد لنا المبلغ، لكن سراج قال له إنه وصله لأصحابه الكبار، ورشحوني لوظيفة، ولو أصرينا على رد المبلغ ننتظر شهر.

- أكلم أنا عمي غانم والمدير... حِلها معه انت وهما في الليل، وتعمل الصح لو معكم واحد من أعمامها.

- عيلة من غير كبير يا صاحبي، كل واحد منهم كبير نفسه.

واستقبلهم سطوحي بترحيب لسان ووجه كالح.

- يا حاج سطوحي انت الكبير، تسامح، وتحل...

- يشتري الدهب يا مدير...

- دهب إيه يا حاج سطوحي؟ هو أيامنا كان فيها اعتبار غير للشاب وأهله.

- رجب لما باع الدهب كان قصده خير... غرضه يتوظف ويكون له راتب كل شهر مع شغله... وراحة لمرته يا حاج سطوحي.

- راحة بنتي أنا عارفها يا حج غانم... يشتري الدهب يبقى عدّل الأمور، عصلج هو حر.

قام رجب

- اسمعني أنا يا عمي، معك أسبوع، إما شروق تكون في بيتي، يا إما كل واحد يعرف حياته ماشية في أي وضع، قوم معي نمشي يا عمي غانم.

فارت ملامح سطوحي من الغضب.

- انت يا أعرج...يا فقير تتشرط علي أنا؟!

- لوما عمي محمد وعمي غانم معي كنت نقصتك، وقسمًا عظمًا لأندمك عليها.

- أرجع لك يا حج سطوحي لما تكون النفوس راقت.

- الحل الوحيد إنه يشتري الدهب يا حاج غانم.

مضت سبعة أيام وكلما تروى رجب في استرجاع شروق من أبيها، وكلما كان خارجًا أو عائدًا إلى بيته، أو أكل، أو شرب أو استبدل ملابسه، أو نام، أو استيقظ، أو احتاج إلى مؤانسة شروق أو أنوثتها، أو رأى رجلًا وزوجته أو طفلًا، أو سمعت أذنه كلمة مباشرة أو غير مباشرة تشير إلى النساء أو الزواج أو انفرد بنفسه، تذكر إهانة سطوحي له بإعاقته وذمه بالفقر، ويتأبى عليه غضبه على سطوحي، ويهمد خطوة التصالح معه وجمع شمل بيته وتخلية شروق من مخاوفها. ووجه شروق المتهلل المبتسم كلما نظرت إليه أو نظر إليها، وألفتها، ومذاق حسنها، وتعاهدهما على ألّا يخذل أحدهما الآخر، وتلافيه بوادر انهيار حياته

الزوجية، ومكالمات شروق معه بالتوسل إليه في إيجاد حل، كلها كانت نصب عيني رجب وأخفقت في إثنائه عن سخطه على سطوحي، أو التفكير في حل.

ومحمد وغانم ما يزيد عن ساعتين من الوقت مع سطوحي، وقولهما كل ما يمكن قوله، وغلبتهما غلظة سطوحي وإصراره، وبجهامة وجمود علِق سطوحي بإلزامه رجب شراء الذهب، وانصرفا إلى إيجاد حل من رجب... أوصيا حامدًا بالمحاولة معه والمثابرة عليه، سطوحي ركب رأسه، حياة رجب الزوجية مهددة، سطوحي متصلب ورجب معمي عن الحل بإهانته له، وعجّل حامد لإنجاز حل مع رجب، واصطحب أشرف معه.

- المشكلة محلولة يا رجب، الفلوس موجودة معي، الصبح تشتري الدهب، وترجع مرتك...

- قلت لك المشكلة بالنسبة لي مشكلة إهانة يا حامد، وسطوحي لو رضيت أشتري الدهب، بعدها كل يوم يهيني ويذلني بسبب وبدون سبب.

- وتفضل تعاند مع الراجل وتقع في مشكلة أكبر... يا رجب؟

وأخذ أشرف المال من يد حامد.

- أنا رأيي تسمع كلام حامد يا رجب، رجع مرتك وكل واحد في حاله يا صاحبي.

- أشرف عرفك الحل يا رجب، أنت في حالك وهو في حاله.

مشى رجب خطوات في صالة منزله وابتعد عن حامد.

- أبو مرتي، غصب عني متجمعين في مواقف مع بعضنا.

- حسسه إن أي تصرف منه لا شاغلك ولا فارق معك، يلاقي هو قيمته واقعة ويسكت عنك، وهو عنيد، وانت لازم تسيطر عليه، شروق

رواية ضوء مغاير / الكاتب علي رضوان

طاعتك في بيع الدهب وفي حسبانها احتمال حدوث مشكلة بينك أنت وأبوها، لكنها فضلت ترضيك، وإياك تنكر مساندتها لك يا صاحبي.

صمت رجب.

- كلام أشرف هو الصح يا رجب.

- أرجوك يا حامد أنت وأشرف اعطوني فرصة يومين أفكر في قراري النهائي.

- كلامك ينرفز، انت رافض الفلوس مني يا رجب، هي صحابة قهوة وحكاوي يا رجب؟!

- لع... لع يا حامد... المبلغ أنا محتاج سنتين لتوفيره، وأنت يا صاحبي المبلغ يلزمك في فرحك.

- معي بزيادة، الحمد لله.

- أنا لي عند إخوتي مبلغ، كأنه مع حامد يا رجب.

حامد لَكَمَ رجب بين كتفيه برفق.

- الأعذار خلصت يا رجب؟

- طوع كلمتك يا حامد.

- عمي محمد وعمي غانم معك بكرة، رجع مرتك، وارجع شغلك يا صاحبي.

- اعقل يا حامد!

- الراجل صاحب المحطة لو شغل واحد تعمل أنت إيه؟ وإن إشتغلت بعيد راتبك يتبعزق على الموصلات...

- يا حامد اعقل وتكلم الكلمة ال...

قاطعه حامد.

- والله لترجع شغلك.

- حامد لا...

حامد قاطعه.

- حلفت يا راجل، وفيك ألف خير على وقفتك معي.

- موافق... إجباري يا حامد، إجباري...

(٨)
نبض القلب

مقدم برنامج يتم خلاله مناشدة المشاهدين المساعدة في استرداد المفقودين حدد الحلقة التي يتم فيها ذكر دسوقي... أرسلت رحاب إلى حامد ميعاد الحلقة، وإلتماسها عمل تقرير عن حادثة سرقة بهائم والد عبدالغني لخصوصية توقيت وقوعها في الظهيرة... اطلع حامد على الرسالتين، وتشكر لها، وعرض عليها القدوم إلى القرية في الوقت المناسب لها، وسيكون في انتظارها، وحددت الساعة العاشرة صباح غد لزيارتها.

أتمت رحاب عمل يومها في مقر القناة السابعة، وأثناء طريقها إلى القطار، دُفع بفكرها الاتصال هاتفيًّا بحامد دون سبب فيما بينهما، تفحصت رحاب ذاكرتها ونقبت فيها عن ضرورة قد تكون هجست في ذهنها وتناستها وتلح عليها بالتحدث مع حامد، لم تعثر رحاب على داعٍ لما يجول بخاطرها، وتوالت خفقات قلبها متسارعة، واضطربت أفكارها،

وانبتت الروابط بين ما تجتذبه من ذاكرتها، ضربت يدها بظهر مقعد الجالس أمامها بالحافلة، فنظر لها بتعجب، ونضارة بشرتها القمحية احمرت، حاولت رحاب التغافل عن إلحاحها، يزداد قوة وصمود كلما اشتدت مقاومتها له، استخدمت تبسيط الأمر لنفسها مرة، واللامبالاة مرة أخرى، استنفدت كل طاقتها في التعامل معه.

وبغرفتها في شقة والدها التي يستأجرها منذ خمسة عشر عامًا في بندر مدينة ديروط بعد وفاة جدها وتقسيم الإرث وتركه بيت والده بقريته، ودخل وظيفته الإدارية في مجلس مدينة ديروط لا يكفيه لشراء قطعة أرض وبناء بيت في القرية، وكان يستأجر أرضًا ويزرعها ويوفر منها نواقص مصروفات أسرته، وأخواها الأكبر منها متزوجان في شقتين بالإيجار، وأخوها الأصغر منها يدرس في الصف الثاني الإعدادي.

أرغمت نفسها على القراءة من كتاب، كانت مكتبتها بحجرتها، أسطر فقط وعقلها أقصى بصرها عن الكتاب، ألقت به على مكتبها وبدأت تتصفح تطبيقات التواصل الاجتماعي بهاتفها، فلم تتمكن من إدراك ما تراه، إحساس عارم جارف لكل ما يخالفه، رجحت أن مقاومتها احتياجها التواصل مع حامد عظّم الأمر لها، أمسكت بهاتفها واتصلت بحامد وهو يبحث عن أبيه في شارع من بندر مدينة ملوي التي تجاور مدينة ديرمواس من الشمال، مع إلقاء حامد السلام عليها، تسارعت أنفاسها ودقات قلبها، وأسرعت الرد وتلعثمت وهي تلحق بعض كلماتها ببعض.

- وعليكم السلام ورحمة الله، في أخبار عن الوالد؟ والإعلان الممول...؟

- للأسف، أخبار لا، والإعلان عملته... ومتشكر لاهتمامك.

روان ضوء مغاير/ الكتب على روان

- العفو... على إيه؟

- أنا في انتظارك الصبح.

- متشكرة.

سرى التوتر في كيانها، والاستعانة بأمها تفيدها في السيطرة على ما بها أو تهدئته... بينت لها بدقة متناهية ما حدث بينها وبين حامد وما يحل بها الآن، وعلى غير الحقيقية الساطعة لأمها ببساطة الأمر وسهولته لتبرؤها من إحساسها بقوة الأمر وثباته:

- كبري مخك، في مقابلتكم الصبح كل شيء منتهي، ولا إحساسك مشغول به بعدها، انت كبرتي الموضوع لنفسك، لو واحد زميلك أو في مجالك أو في مجال مناسب لك أو واحد قريبنا، كنت قلت لك إن حصل تفاهم بينك وبينه وقلبك مال له، الصبح تقولي لي كلامك صحيح يا أمي، تصبحي على خير.

أطفأت رحاب مصباح حجرتها، واضطجعت بفراشها، غطت وجهها، ومضت عليها ساعات بين مشاعرها المشتتة وأفكارها المبعثرة وخطواتها الحذرة اتجاه حامد بداية من غد، ظلت في نوم متقطع، تستيقظ ويجتاحها إحساسها وحيرتها كأنهما ميقظانها لحسم مصيرهما معها، في الصباح كانت متلهفة للتواصل مع حامد، ولزوم اتصالها بحامد لينتظرها أسعفها من مناهضة ذاتها.

- صباح الخير يا حامد.

- صباح النور، أنا منتظر حضرتك.

- وأنا خارجة... مع السلامة.

- الله يسلمك.

محادثتها مع حامد أفاضت عليها سكينة وروِيَّة على آثرها، واحتاطت لنفسها بالثقة والحذر لو أن مشاعرها ارتبكت عند لقائهما... رأته في الساحة التى بمنزلة محطة سيارات الأجرة، عم الهدوء كيانها، وتدفق الصفاء إلى وجدانها، وتناسقت أفكارها، وكأن نسيمًا داعب قلبها، فاستهناً، وانتشى، وتهلل، واستقرت لطافة الروح بها، ورجال ونساء وشباب أبدوا الاهتمام بحامد وبالسؤال عن أبيه وهما في طريقها لمنزل والد عبدالغني، ودعوا لأبيه بالعودة والسلامة، كانت هي تسجل في رأسها كل كلمة وكل نظرة منهم إلى حامد، أحبت أسألتهم ودعواتهم كأنها تخص عزيزًا عليها من أهلها.

وأصرَّ عبدالغني ووالده على تناولها عصير فاكهة قبل أي حديث... حصلت منهما أجوبة عن عدة أسئلة، وصورت عبدالغني وأباه والمنزل وحظيرة البهائم بالمنزل ثم التي بالأرض، كيف تمت السرقة نهارًا والطريق ضيقة وبها زرائب آخرين؟! ومسافة طويلة من زيبتهم إلى الطريق الرئيس! عض عبدالغني باطن شفته السفلى وقال لها:

- أولًا يا أستاذة الحرامية معهم واحد دليل من البلد على الأقل، وأكيد هم يعرفوا إن عمي دسوقي مريض وبعيد عن البلد، والحرامية أكيد يعرفوا أن كل الناس هنا اعتمادهم في النهار على عمي دسوقي، ولما عمي دسوقي تعب، المنطقة خليت، وفي الحوادث شبيهة سرقتنا فيها ناس لو شافت الحرامية أو عرفت عنهم معلومة ولا أكنهم شافوا أو عرفوا شيء، إما هم يتجنبوا المشاكل أو هم من أقارب الحرامية أو يكرهوا الخير لجارهم أو قريبهم المسروق.

رواية ضوء مغاير / للكاتب علي رضوان

اللصوص اقتنصوا فرصة استغلوا غياب دسوقي وسوقوا البهائم في عز الظهر، صورة دسوقي في التقرير دورها مهم وفعال مع المشاهد، وفرصة ثانية للتنويه بطريقة غير مباشرة عن دسوقي في برنامج متوقع له نسبة مشاهدة مرتفعة كأحد البرامج المعنية بالحوادث والجرائم المفضلة للمشاهدين. وطلبت من حامد صورًا لأبيه، ووضحت له موضع استخدامها، وسألته:

- بيتكم في طريقنا قبل الموقف يا حامد؟

- ممكن نعدي من قدامه.

وأمام البيت خجل حامد وعرض الضيافة عليها، وقطع صمته بقوله لها ما يخص والده وخفاجي ونفسه من طوابق البيت ومكان بيت أدهم، ومشى إلى الساحة، واقتربت رحاب من سيارة تختص بها إلى بندر مدينة ديروط.

- ضيعت وقتك معي.

- انتِ تأمري يا أستاذة، مع السلامة، انتبهي لنفسك.

جملته الأخيرة أحدثت في نفسها طفيفًا من التعجب وغدقًا من الرضا، ودفقُ قلبها يشتاق إجابة سؤال عن دافع توصيته لها، فتوقفت عن المشي برهة وعيناها ناظرتان إلى الأمام وواصلت خطواتها إلى السيارة.

- الله يسلمك.

لاحظ حامد توقفها، وندم حامد ولام نفسه على جملته الأخيرة لها، قد تفهمها خطأ منه يحيد به عن العلاقة بينهما إلى ناحية أخرى، وتحاشت النظر إلى حامد وهي في السيارة، تحافظ على قوتها أمامه، وسيرى جديد إحساسها نحوه، دفع للسائق أجرته، وشغل نفسه بتنسيق حافظة نقوده إلى أن تحرك السائق بسيارته.

- شرفتينا يا أستاذة.

- الشرف لي.

ورفعت يدها تؤكد له سماعها له وردها عليه وتوصيته لها محور تفكيرها، وتكلفه التشاغل عنها بحافظة نقوده دليل على وعيه بتأثير توصيته لها بها، وتوصيته المفاجئة ليست من فراغ، ويحادثها بلقب أستاذة أو حضرتك وهي تجرده من الألقاب وبلا مقدمات يوصيها على نفسها، قد يكون حامد به مشاعر لها ومشكلة أبيه مستحوذة على عقله "طبعاً... أكيد حاسس بي" العقل لا يعبأ بالروبط أو بالحسابات والمنطق إذا فكر القلب واستنبط نتيجة، وأكملت يومها في حماسة ونشاط وبشاشة، روحها خفيفة متيمنة بكل شيء تراه أو انهمر ببالها حتى عادت في المساء إلى البيت، وسبقتها أمها إلى غرفتها.

- إيه الأخبار؟

- أول ما شفت حامد الصبح، حسيت بالراحة والأمان والإطمئنان.

- إيه...؟!

- حسيت يا أمي إن كل شيء في الدنيا حلو.

- لا... أنتِ حالتك بقيت صعبه، فوقى قبل ما تدخلي في الغويط.

- روِّقي يا أمي... أنا شايفة إنه خير.

- يا بنتي أنتِ متعاطفة معه، أنتِ مكبرة الحكاية أكبر من حجمها. اثبتي قدام المواجهة، واملكي روحك قبل ما تفوقي وأنتِ في موجة عالية وسط البحر.

- أنا تعاملت مع شباب غيره وتعاطفت معهم، لكن عمرى ما حسيت إحساسي له إلا له هو، ولا حد شدنى إليه إلا هو.

- كفاية إنه شغال في مجال، وأنتِ في مجال مختلف عنه... يعني مختلفين مع بعض من قبل ماتعرفوا بعض.

- مع التفاهم والرضا اختلافات الشغل بسيطة وسهلة جدا.

- أنتِ اتكلمتي أنتِ وهو في شيء؟

- لا...

- لمح لك أو لمحتى إليه بأي كلمة.

- لا...

- سليم.

ومسحت على رأس رحاب.

- يا بنتي هو راجل في ظروف صعبة، وعمره ما مركز في أي شيء، وأنتِ مضيعة وقتك في الفاضي.

- أنا حاسة إن قلبه حاسس بي، لكن هو ضاغط على نفسه بسبب ظروفه.

- حاسة... حاسة! أوهام ياحبيبة أمك.

- ما هو إحساسي تحول معي لفعل يا أمي، فجأة نفسي أكلمه؟ ومن أول ما شفته ونفسي مرتاحة جدًا؟ ونظرتي في الدنيا كلها تغيرت؟ وكيف هلّ على الهدوء والراحة فجأة؟

- أنتِ استسلمتي...

- ما دام شيء فيه سعادتي، الاستسلام له أفضل.

وزارتهم خالتها، وأبلغت أم رحاب طلب ابنها خطبة رحاب، وأتاحت لأم رحاب خمسة عشر يومًا قبل الرد عليها إلى أن يكون ابنها قد عاد من سفر إلى القاهرة. منذ سنوات وأم رحاب تتمنى تقدُّم ابن اختها إلى

خطبتها، أخلاقه كريمة، وعمله ملائم لرحاب، ومستوى اجتماعي ومادي عالٍ، وأسرة مستقرة، زوج مستقبلي مناسب لرحاب.

- هو إنسان محترم ومحامي ناجح ويشرف أي واحدة يا أمي، ولو خالتي بدّرت كنت وافقت على الخطوبة يا أمي.

وترغيب أمها لها فيه، وتحذيرها من الحسرة على رفضها إياه، وتخطئتها، كلها أساليب استخدمتها أمها دون جدوى.

(٩)

جَبَروت

هدم أدهم مزرعة دواجن نبيه ومعه باقي أعضاء لجنة إزالة المخالفات وأفراد شرطة ثلاثة منهم أحاطوا بصبحي، وأبوه بأرضٍ مجاورة للمزرعة ينوح ويرفع الطين بيديه فوق رأسه، وصبغت العدواة صبحي جلية بكل دلالاتها، وما عدّ لها أدهم قيمة، مرت عليه مرات ومرات وأصحابها الآن محلك سر وسيحذو صبحي حذوهم، عائلة أدهم الكثيرة الرجال وأصدقاؤه المقرب لهم من أهل المال والمناصب يحسب لهم الجميع ألف حساب.

طمع صبحي في إرداء أدهم بفاجعة تُشفي غليله منه، لولا أن خططه الأخرى كان في طياتها مخاطر على أسرته أو على نفسه أو على الاثنين معًا، ومكيدته التي استقر عليها في اليوم الثالث رسمها معه حسان ابن عمه له، وانطلق حسان من بين أنقاض المزرعة إلى بيت أدهم، وظل صبحي بين أنقاض المزرعة يتحين دوره في المكر بأدهم.

شغل حسان تطبيق تسجيل الصوت وطرق باب منزل أدهم، وكان أدهم في انتظاره بعد مكالمة هاتفية اقتصر حديثه فيها مع أدهم على احتياجه له في مصلحة ما.

- أبوي قال لي أكلمك وأقابلك لأنه مخطط يبني مزرعة دجاج.

- وأنا تحت أمره.

- قل لي أنت بالتفصيل دورك معنا وطلباتك إيه.

أطال أدهم في توضيح دوره وتفخيمه، خمسة آلاف جنيه كانت تستحق منه ثلث الساعة من الكلام المتتابع والمنمق والمتكرر، لم يقاطعه حسان، يرفع إبهامه أو يبتسم أو إمالة بوجهه يعرب بها عن إعجابه بكلام أدهم، ما إن انتهى من جلسته مع أدهم جرى إلى صبحي الكمن اصطاد صيدًا ثمينًا بعد جوع أيام في صحراء قاحلة، وقطّع صبحي التسجيل، وبدون صوت حسان والجمل التي ذكر فيها اسم عمه على لسان أدهم، أنشأ صبحي حسابات بعدد من تطبيقات التواصل الاجتماعي باسم مجهول، وأرسل التسجيل إلى كثيرين من أهل القرية.

أحد أوائل من تسلموا التسجيل منه في بريد حساباتهم كان طلعت، وكل ما جال بخاطره الخزي الذي سيقاسيه حامد من انتشار التسجيل بين الناس، الجميع يعرفون أن أدهم يرتشي، لكن تداول التسجيل بينهم فضيحة أذنابها تلدع كل ذي صلة من أدهم وفي مقدمتهم حامد، وسيؤرقه الخبر النصف المتبقي من الليل، والخبر منه إلى حامد خير من أن يباغته به أحمق أو شامت.

ونفورًا من ضيق الغرف وجمودها كان حامد يزفر أوجاعًا من هموهه، ويستنشق هواء يزيد من رحابة صدره، وهو مرتكز بأنامله على سياج

رواية ضوء مغاير/ الكاتب ريم رمضان

الشرفة الوسطى في الطابق الثالث بواجهة المنزل، ورأى طلعت يمشي في هدوء... تلجلج طلعت في كلامه، وحامد كدره انتظار ما سينبئه به طلعت.

- إيه... يا طلعت؟

- واحد سجل لأدهم وهو قاعد معه يا حامد، والتسجيل فيه أدهم وهو طالب رشوة.

صفع حامد سياج الشرفة بيديه.

- ناقصة... ناقصة مشاكل يا أدهم؟! ومن سجل له؟

- التسجيل وصلني في رسالة من رقم غريب، و...ولا معلومة ظهرت عنه في برنامج بيانات المتصل، ورفض يرد على رسالتي، وغالق الخط، لكن أكيد أدهم عارف صاحب التسجيل يا حامد.

- بِنا على أدهم، نلم الفضيحة بقدر الإمكان.

آكل الحرام يطير دم صاحبه، فلا تسري له وجعة، وتكسر عزة عينه، فلا تصحو به حمية، وينوخ له صاحبه فتسقط مروءته، ببرود ولامبالاة ابتلع أدهم ريقه وكلامهما، وأراح رأسه إلى مسند أريكته ومسح طرف لسانه بأسنان وضروس فكه الأعلى.

- قلنا لازم نعرفك أنا وطلعت يا أدهم، وتقول لنا من سجل لك، ونعالج المشكلة معه.

حك أدهم أنفه بأظافره.

- لو الحاج كان عطاني زرعة أزرعها كانت سندتني... بدل من الديون المتجمعة على بهمومها يا حامد.

- نقول لك فضيحة، تقول لنا ديون وأرض!

- يا حامد اصبر، أهم شيء عندنا نلملم حكاية التسجيل، لازم نسبق الوقت، وأنت يا خالي أدهم اسمع معي، وقل لنا من سجل لك التسجيل.

مع أول كلمة من التسجيل أدرك أدهم أن صبحي يعاقبه على هدمه مزرعتهم، وفضل أدهم ألا يدل حامدًا وطلعت على حسان، وقوع مشكلة بينهما وبين صبحي احتمال قائم، وإن حدث هذا ستتسع دائرة فضيحته، وتتوطن في أهل القرية وكل من يعرف اسمه.

- التسجيل عند الحكومة كلام فارغ, ولا له نفع يا حامد.

- الصح إننا نتحرك على صاحب التسجيل حالًا، حرق كلام في الفاض ضد مصلحتنا، وكل دقيقة تعدي من غير ما نتكلم معه خسارة لنا يا أدهم.

- ممكن تقع مشكلة والحكاية تثبت في دماغ الناس مهما عاشوا، لكن لو الأمور مشت عادية سنة والناس كلها تكون نسيت الحكاية ومسحت التسجيل من عندها، وأكيد هو راسل التسجيل على كل من له علاقة به، ولو غرضه يستخدمه وسيلة ضغط لمصلحة تخصه كان كلمني أنا، يعني الكلام معه لا يحل ولا يربط.

انتشر التسجيل في القرية والقرى التابعة لإدارتها المحلية، وبعد أن خرج الموظفون إلى أعمالهم والمزارعون إلى أراضيهم صباح اليوم التالي كانت سيرة أدهم أضحوكة قهقه بها بعضهم، ومنبوذة فيسبه آخرون، ومنهم من دعوا عليه بالخراب والمرض، ومُدافع عنه من قليلين مستهينين بمن غيرهم أو يستغبونهم ويسوغون له أفعاله بتبجح، ومع وصوله إلى مبنى الوحدة المحلية والكثيرون من زملائه تظاهروا بجهلهم التسجيل، وبعضهم شعّت منه شماتة به، وآخرون عاضدوه وصوروا له الأمر بزوبعة

رواية ضوء مغاير / الكاتب علي رضوان

في فنجان سيمضي عليها الوقت وكأن شيئًا لم يكن، واستدعاه رئيس الوحدة المحلية.

- أمرك يا بيه.

- أنا مضطر أطلب نقلك من هنا يا أدهم، لأن وجودك قدام الناس حاليًا يضرك ويضرنا، والصبح تكون مرتب ومصحح كل اوراقك بحيث نكون كلنا في أمان، وأوعدك إني أرجعك بعد فترة قصيرة لو مشيت وورقك مرتب صح.

- أنا ورقي تمام حضرتك.

واتصالات متتابعة متلاحقة من خفاجي بأدهم تجاهلها أدهم في المرات الأولى وصمّت جواله، سماع خفاجي التسجيل من جار له بالأرض كأن وجهه لطخ بروث بهائم في غفلة من مجهول فعلها واختفى، ويلزمه تنظيف سمعته ممن اجترأ وفعلها، ومجيء خفاجي إلى مقر عمله زيادة الطين بلة.

- انتظرني في بيتك بعد الشغل يا خفاجي.

- من سجلك التسجيل الزفت...؟

قاطعه أدهم:

- نتكلم بعد الشغل يا خفاجي.

منع خفاجي من الخوض في الحديث، وخدي خفاجي كانا ينتفخان من أنفاس غضبه على أدهم ومن سجل له، وصغّر مكانته... لولا أنه تملّك نفسه في اللحظات الأخيرة بإقناع نفسه بأن صفْعَهُ أدهم سيشقُّ فجوة بينهما.

- مرغت كرامتنا في التراب بيدك يا أدهم.

- حقك على يا خفاجي.

- من عملها يا أدهم؟

- بُعدك يا خفاجي... أنت ممكن تورطني في مصيبة, ارتاح أنت، أنا مع الوقت أندمه على عملته هو وأهله, وأنت متأكد ان قرصتي والقبر.

- هنت كرامتنا يا أدهم.

- أبوك حرمني من حتة أرض أكل منها وأشرب مع وظيفتي والديون غرقتني.

- تتلاعب بي أنا يا أدهم! أنا خفاجي.

- ومعكم المال ورافضين تساعدوني.

- إيه في مخك يا ادهم!

أيام أدهم القادمة ستكون خالية من الرشاوي في مقر عمله، وإن عاد قريبًا لن يسمح له مدير الوحدة المحلية بكل صلاحياته السابقة بعدما شعر بخطر على نفسه منه، وراتبه أقل بكثير من المستوى الذي اعتاد عليه سنوات، وحامد معه مبلغ مالي يرمم الإنقاص اللاحق به.

- حامد يساعدني.

- كيف؟! حامد قدامه فرح ومحتاج المساعدة.

- أنا مزنوق، وتهديدي له برفع قضية حجر على الحاج تغير كل حساباته، هو حنين، وخوفه على الحاج مكسب لي.

مسك أدهم طرف أذن خفاجي بيده.

- لو سبنا حامد معه فلوس يا خفاجي ممكن يستمر وراء الحاج لما يرجعه ويعالجه ويخسرنا الجلد والسقط, الحاج لو فاق ساعة واحدة حياتنا

تكون جحيم، بالإهانة والحرمان من بيوتنا والأرض، وإما نغلب حامد، وإما يغلبنا.

ضحك خفاجي بخفة من غير صوت، ودلّك صدر أدهم.

- كلمه...

- دمه يبرد من حكاية التسجيل، وأكلمه.

وقبل أن يصل أدهم بيته اتصل به هاتفيًّا صديق له من قرية نائية عنه، كان دسوقي في شارع من قريته، ويضايفه الآن في بيته، بصق أدهم على الهاتف، وكان على استعداد للموقف إذا حدث، وطلب من صديقه اختصاص سيارة تنقِل أباه إلى حي الأربعين في مدينة أسيوط، ويسجل للسائق رقم هاتفه المحمول، وهو في مدينة أسيوط وسيكون في انتظاره لعرضه على الطبيب، وشدّد على صديقه ألا يخبر أحدًا أنه عثر على أبيه فاقد عقله، حتى إخوته، حماية لأبيه من استهزاء أي شخص به.

رآه أبوه يدفع للسائق أجرته؛ فنزل من السيارة ومشى في الشارع ينظر خلفه في حذر وتهرب من أدهم، ومشى أدهم على مُهلَتِه إلى أن سلك أبوه شارعًا آخر، وركب أدهم سيارة إلى موقف سيارات ديروط، وعاد إلى خفاجي... انبهر خفاجي بسرعة أدهم وحنكته في السيطرة على الأمور الطارئة.

ومثلما يفعل خفاجي كل ليلة بأحد المقاهي، خرج يرشف كوبين أو ثلاثة من الشاي مع تدخينه السجائر، وخلال سيره إلى المقهى وردت إليه رسالة من وهيبة محتواها "من فضلك كلمني"

- لو ممكن أشوفك الليلة تعال.

ضوء مغناطيسي على رشوان / الكتاب

مراعاته لقطعة أرض يرويها كان يتخفى وراءها خفاجي كي لا يثير أي تساؤل لدى إنعام، انسل إلى بيت وهيبة... مضت الساعة الثالثة صباحًا، فارق خفاجي فراشها، وارتدى جلبابه وعمامته، ومشطت شعرها وهندمت قميص نومها، وخرجت إلى الصالة، وجلست على أريكة بمحاذاته، وكان عباس وروني في بداية استقرارهما ملثمين بسطح المنزل، وفي خطوات هادئة اتجها إلى سلم البيت، سمعا خفاجي ووهيبة وهما يتحدثان.

خرج خفاجي من المنزل، ودخلت وهيبة إلى غرفتها، نصف ساعة ثم فتح عباس باب غرفتها بضغطة على مقبض المزلاج، ووراءه روني ممسكًا ببطارية مضيئة، الغرفة مظلمة، ووهيبة نائمة بفراشها، انقض عباس وروني عليها، وأطبق روني فمها وأشهر عباس سكينة أمام وجهها وبلاصق ضم عباس شفتيها، وقيد يديها خلف ظهرها بحبل، وأوثق قدميها، وسألها عن المكان الذي تحفظ به الذهب والنقود، فأومأت بوجهها إلى أحد أبواب الدولاب... تلقَّط عباس الذهب والنقود وجوالها من تحت وسادتها، وفرّ عباس وروني من المنزل، وتلوَّت ساعة وأكثر، وتخلصت من قيدي يديها وقدميها واللاصق.

إن علم إخوتها الثلاثة، يسكِّنوا معها أحد أبنائهم وتخسر خفاجي ولياليه... اشترت جوالًا وخطّ محمول من محل في القرية، وشكت لخفاجي همومها وأوجاعها مما حدث معها، أهمد أنينها وكل تفكيره في الانغماس بفراشها، وأستأذنها في زيارتها وفسحت له الزيارة.

رواية ضوء مغاير / أحمد رسوار

(١٠)
حب مختنق

نهاران وليلة قضاهما حامد مستيقظًا، ومساء اليوم الحالي كان في الشوارع عدد من أهل القرية، كلهم على أسلوبهم في رد التحية أو إلقائها عليه وسؤالهم عن أبيه والدعاء لهما، ما عدا رجلًا واحدًا مثّل كأنه يحادث طفلًا له، ولسَنَ أدهم بالخساسة والحقارة، وكان كافيًا لذهاب النوم عن حامد، وبقائه على فراشه منغصًا ومرهقًا يستدعي النوم، وعازمًا على الاستيقاظ في الخامسة صباحًا والسفر بالقطار إلى بندر مدينة المنيا بحثًا عن أبيه، تلقى اتصالًا من رحاب بأن التنويه عن أبيه من التليفزيون غدًا، شكرها كثيرًا، وأمل ألا تنقطع صلته بها ويستمر التواصل بينهما، وتعجب من غرابة ما يتمناه، واقشعر جسده كمن انسكب عليه فجأة ماء بارد فور ساعات شاقة له في ذروة الحر، وأنَّب نفسه على تغير جوهر علاقته برحاب فيه، هي تدعمه في العثور على أبيه، والتوقيت يعاكس التفكير

رواية صوت صفير البلبل © علي رشوان

في أمر شخصي له، ويضاف إليهما تنافر مجالي عملهما، رن هاتفه ثانيةً من رحاب.

- ممكن عدد لي من صورة الحاج، عدد أوزعه في القطر، وعدد ألزقه بمحطة المنيا.

- متشكر جدًا... أنا ناوي أكون في المنيا الصبح.

- سيب لي فرصة أني أساعدك يا حامد.

- ربنا يبارك فيكِ، كفاية خدمة التنويه... أنا أقول لحضرتك من غير تردد لو احتاجت إليكِ في أي خدمة.

- وأنا أتمنى تقصدني في أي طلب, أنت مرتب تكون في قطر الساعة كم؟

- كلك ذوق... سبعة الصبح.

- تمام، مع السلامة.

- الله يسلمك.

تصور حامد أنه سيكون في موقف صعب ومعقد إذا اِلتقى بها غدًا، ويصدر منه ما يشجيها وما تقاطعه به، أبوه في أمس الحاجة إلى استمرارها معه في البحث عنه، وعزم على التخلص من مشاعر التغير المحدث به، ولم يعثر على إرادة ممانعة ولا حيلة مناسبة للتعامل مع هذا التغيير، لا بد من التوجه إلى أشرف، للحصول منه على حل حاسم وعاجل.

عبء ثقيل على حامد ويحاول حامد إزاحته، هي الحالة التي تكونت نصب عيني أشرف، وحامد في احتياج لمن يوده ويهتم به ويعينه على البحث عن أبيه، وهي أظهرت ميولها إليه بمحاولة مشاركتها له في توزيع

ولصق صورة أبيه، وحامد غفل عن تأملها، استثقل أشرف على نفسه عون حامد على هدر مشاعره المتدفقة به إلى رحاب.

- أنا شايف إنها متعلقة بك يا حامد.

- أنا أقول لك خلصني من الورطة تقول لي متعلقة بك!

- بصراحة يا حامد أنا نفسي تسيب الأمور على حالها، طالما أنت ميال لها وهي ميالة لك، نصبر شوية.

- نصبر على إيه يا أشرف؟! الظروف، وشغلي وشغلها...

- كله كلام نظري، الحياة بالحب شيء مختلف بتاتًا.

- أول مرة في حياتي لا فاهمني ولا حاسس بي يا صاحبي.

- أنا فاهمك صح يا حامد، وحاسس نفس إحساسك، لكن المضمون موضح لي إن رحاب متعلقة بك، وهي نقطة تغير كل الأمور وتُسهلها.

- كيف أنت تأكدت إنها متعلقة بي؟!

- لأنها إتصلت بك وطلبت منك صور الحاج، هدفها توصل لأبوك وحياتك تستقر.

- تعاطف وشفقة...

- مهما كانت حدود مساعدتها لك العقل يقول إنها آخرها يكون في نطاق شغلها أو في مجالها عمومًا، ومهما كانت متعاطفة معك توزيع ولزق صور الحاج من القلب، ولو هو تعاطف سبب سؤالها عن بيتكم لما كانت هنا إيه؟ أنت مهم بالنسبة إليها يا حامد، وحبت تعرف أي شيء عنك.

وضع أشرف عنقود عنب في يد حامد.

- نفترض أنت صح، ظروفي وشغلي يا أشرف يتعبوها معي.

- متفائلين بك خير. وبإذن الله الحاج يرجع إلينا قريب جدًا، والشغل يا حامد مادامت اختارتك من البداية بصنعتك أكيد راضية بها، وأنت راجل عندك طموح، وواثقين أنك بإذن الله تكون مقاول ورجل أعمال من مهارتك واجتهادك وعقلك الكبير يا صاحبي، وهي أمنية عمي الحاج وبإذن الله تحققها.

- ولو أهلها رفضوا؟ وهو أنا أدري وقت ساعة رجوع أبوي! ولو اتعلقت بي وأبوي طوّل في غيبته، ما ينوبها مني غير وجع القلب، ويا عالم تخلص منه بعد سنة أو عشرة أو تعيش فيه، وذنبها يقعد في رقبتي، وطبعها يقول انها إنسانة طموحة وصاحبة شغل، وغرضها تساعد الناس حواليها، وأنا لا يمكن أهد واحدة في مقدارها. أنا سكتي واحدة، لا راجع منها ولا مغيرها إلا لما أبوي يرجع.

- صحيح مشكلة عمي دسوقي كبيرة ومأزماك، لكن إياك يحامد... إياك يا صاحبي تنطفي وتسوِّد كل شيء قدامك. لو لقينا الأمور متعبة وماشية غلط، نتصرف بسرعة، وأنت مادمت نيتك خير وعلى محمل الجد، انسى القلق يا صاحبي. ومن قال لنا لو عاشت مع غيرك تكون مبسوطة ومرتاحة! وأنا واثق أنها معك أنت هي مع شريك حياتها المساعد لها على تحقيق طموحاتها ومساعدة الناس.

- ممكن أضيع حياتها في فراغ، وأتعبها معي يا أشرف.

- وممكن حياتها تضيع من غيرك بعد حبها لك، الحب يا صاحبي صانع عهد جديد لحياة جديدة، صافية، تخصكم فقط، كأنكم وجدتم أهل وأصدقاء جدد مخلصين، وأرض جديدة معمورة بالطيبين في بيت معزول نفسيًا عن أمراض قلوب البشر كلهم يا حامد.

رواية ضوء مغاير لأشرف رشوان

بدا لأشرف هدوءٌ على حامد.

- أنا نفسي يا حامد تكون محبوب وحابب مرتك، وتعيش حياتك أنت وهي كأني أنا ونورا، عيشة نعمة ونفسي تنولها يا صاحبي.

هدأ حامد أكثر، وأكل حبتين من عنقود العنب.

- والصبح أعمل إيه؟ قل لي اتصرف كيف، أنا ممكن أتصرف تصرف غريب، أو أقول كلمة تلخبط الدنيا.

- حبيبي يا صاحبي. أنت قلقان بسبب التغيير المفاجئ، أنا واثق من عقلك وهدوءك يا حامد.

في الصباح الباكر كان حامد في (توكتك) طلعت، وبجواره عباس منطوٍ في شرود متناء وهو يخطط لسرقة منزل أشرف في ليلة من الليالي القادمة... أودعوا (التوكتك) بموقف خاص، واتجه طلعت وعباس إلى مدينة منفلوط.

وهيأ حامد بين يديه كمية من صور والده لتوزيعها على منتظري القطارات برصيفي المحطة، ودخل محطة قطارات ديروط، وألقى نظرة على رصيف الركاب المتجهين إلى الشمال ليعرف هل جاءت رحاب إلى المحطة أم لم تجئ... وصل القطار وكف حامد عن توزيع صورة أبيه، توقف ينظر إلى مدخل الرصيف، دخلت رحاب إلى الرصيف، ولوحت بهاتفها لحامد، وصعد القطار، وكما فعل أثناء سفره إلى مدينة أسيوط قام به إلى أن شارف القطار مدينة المنيا، وجلس على المقعد المجاور للمقابل لرحاب.

- كيف حالك يا حامد؟

- الحمد لله، حضرتك بخير؟

- بخير الحمد لله.

- إيه أوّلك في المنيا.

- المحطة.

تحدث حامد إليها وهو ناظر إلى خارج القطار فرارًا من أن تستشف منه ما استجد به من مشاعر لها، ومن قصر وقت نومه احتاج حامد لتناول كوب من الشاي من بائع يمر من عربة القطار، وليُيسر فيه توتره، وستشاركه رحاب في تناول الشاي إذا دعاها، أحبت تملك ذكرى مثلها مع حامد.

- تشربي شاي حضرتك؟

- نفسي في الشاي.

قدم حامد كوب الشاي إليها؛ فابتسمت ابتسامة أضفت على وجهها روح طفولية، وتورد وجهها بها، وثبت هو عينيه على بائع الشاي، نظرة أخرى إليها سيروق له حسن صورتها وينزلق إلى إستخلاصها إحساسه لها، استمر ناظرًا إلى النافذة حتى نزولها من القطار، وتأنى في مشيه، فضل حامد البدء بالمحطة وبه لا يُطيل المشي معها إلى خارجها، توقف بعد خطوات فتوقفت، نظرت رحاب إليه فتلاقت أعينهما، ونظرة كليهما إلى الآخر كانت تبوح من أعماقه بسؤال حائر: ماذا بعد فيما جد بنا؟ لحظات ونظر كلاهما بعيدًا عن الآخر.

- أنت تأمر بشيء يا حامد؟

- شكرًا، مع السلامة.

- الله يسلمك.

تابعت رحاب سيرها مسرورة وتلألأ وجهها فرحة بنبض شعور حامد به إليها أمامها، خطوات وصدت مرحها "أفرح كيف وأنت تعبان، بإذن

الله نفرح مع بعضنا يا حامد" وطرحت عليها نفسها أسئلة، كيف تستمر علاقتها بحامد في الأيام المقبلة؟ ومتى يتقدم حامد لخطبتها؟ وماذا لو طال غياب أبيه؟ "ربنا يفرج كربك يا حامد ويجمع شملنا على خير" وخرجت من رصيف القطار.

وهاجمه الغضب من نفسه، باح لها بميوله إليها في وقت سابق أوانه، جلس على قدمه اليمنى، وأتكأ ذراعه على ركبته اليسرى، وأمسك جبهته بيديه، رحاب مسؤولية عليه مبجلة من الحين، تعهد على نفسه بأن التقدم إلى خطبتها يكون أول ما يقوم به بعد عثوره على أبيه، وإحكام كل تفكيره في البحث عنه "أبوي قبل كل شيء، ولا خطوة في طريق غير طريقه" وهي أيضا جادة في دعمها له في البحث عنه "لولا أنك دخلتي قلبي من طريقه ما كنت حسيت بك أبدًا يا رحاب"

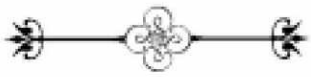

(١١)
إنتكاس

مع نهاية كل يوم يعود عبدالغني من عمله ولا يوجد بالبيت سوى أخته، أمه ببيت والدتها بشارع مجاور لتنظف لها البيت وتعد لها الطعام، وأبوه بالأرض، ومرة كل خمسة أو ستة أيام هويدا تكون مع أخته في نفس التوقيت، اليوم كانت أخته تسألها عن فتاة مناسبة زوجة له.

وجدت هويدا أن عبدالغني زوج مستقبلي مناسب لها ذو أخلاق حسنة ومهنة مجدية وسيتزوج قريبًا، فكرت في كيفية تلميحها إليه بما في سريرتها، راوغتها نفسها على إلقاء نظرة إليه مغزاها كتمانها لحب له، لكنها كرهت مخادعته، ومصارحته هي أوضح الطرق وأقصرها، وضع حقيبته أسفل مقعد بجوار حائط في الصالة، وترقبت فرصة تتحدث فيها مع عبدالغني، ضمت أخته شفتيها يمينًا ويسارًا بابتسامة تتصنع الخوف من عقابه.

- اعذزني في تأخير الغداء لأني قاعدة مع هويدا نغربل لك البنات والبيوت.

- حال كل يوم.

ابتسمت هويدا.

- عليكِ حق... أخوكِ مكلفك تختاري له عروسة، وتأخيرك الغداء كل يوم يعقده مننا بدري بدري.

- لا تعرف تختار... ولا تنقي.

- غلطانة، لو سألتني من الأول عن رأيي فيك كنت قولت لها موافقة من غير شروط.

ضحكت أخت عبدالغني وغطت فمها بأصابعها، وعلا الخجل ملامحه، وأدار وجهه عنها، وسرعان ما تصنع لامبالاة لكلماتها.

- أنتِ أي شاب يتمنى يرتبط بك.

- كلام في الهواء، متهيء لي مجاملة.

- لا... طبعًا.

- يعني... مثلًا... مثلًا يعني. أنا موجودة وناس قريبة مني حيرانة في عروسة، كأنها ما تعرفني.

صمت عبدالغني مبتسمًا ومتعجبًا.

- تأمرني بأي خدمة يا عبدالغني؟ سلام.

ومع أول خطوة لهويدا خارج الباب أخته ضحكت:

- هي صريحة يا عبدالغني، أنا مستغربة منها، عمري ما حسيت بإن عينها عليك.

- الصراحة حلوة، ولخصت من الآخر، لو أنا فكرت أخطبها كنت ارتحت من التفكير؟!

مؤدبة، وجمالها مغري، وأهلها أفضل جيرانهم، ومتفاهمون مع أهله، وعلو الدرجة التعليمية للفتاة عن الشاب عند الزواج نادرًا ما يُعارضه أحد من أهل الفتاة هذه الأيام، ومن المأمول له موافقة أهلها بدرجته التعليمية من أجل تزويج ابنتهم في الشارع المقيمين به.

وأغرم برؤيتها ليل نهار، إن كان في عمل في القرية أو في قرية مجاورة يقطعه ويرجع إلى البيت من شوق رؤيتها، وقللت هويدا عدد خروجها إلى الشارع، كانت تسكب الماء في الشارع وتتحدث مع جارة لها، وتشتري احتياجات من بقالة في الشارع مرات كل يوم، إذا رأته حاليًا سارعت إلى البيت، وكفت عن مجالسة أخته، ونزعت عيناه إليها ما دام يقظًا، لا حل في لوعته إلا وقوفهما تجاهه ولا تنصرف عنه.

دعاه أشرف إلى التعجيل في طلبها من أهلها، حضر حامد باتصال مسَبَّق من عبدالغني، رأي حامد أهم ما يريده قبل خطبتها، وكانت به بوادر حرقة في استهلال كلامه مع حامد، خطبها حامد وتخلى عنها، وأخوه خفاجي رفض تزويجه بابنته محاسن، وغالب عبدالغني نفسه وهو يَهدم من عازل تنصبه به، يعتم على صفائه وإخلاصه لحامد إذا أسسته على صداقتهما.

- أنت إيه رأيك في هويدا يا حامد؟

- بنت حلال ومحترمة جدا.

- ممكن أعرف السبب يا حامد.

- النصيب.

رواية ضوء مغاير الكاتب رستم أبو رستم

- إيه غلطهم في حقك يا حامد؟

- لا غلط ولا شيء، الشد والجذب في قعدة الشروط الحاصل مع كل الناس اختنقت منها، يمكن لأنها كانت أول مرة تحصل معي.

خرج أشرف من المضيفة.

- ولو قلت لك إني عزمت على أن أخطبها يا حامد، تقول لي السبب الحقيقي؟

- يا صاحبي أنا أحيانًا أحس إني عندي شيء غلط محسسني إني فشلت في التعامل مع بيتهم كأهل خطيبتي.

- قل لي على السبب الحقيقي وأنا أعرف أقدر يا حامد, أوعدك بإنه سر.

- كان ممكن يعدي عادي جدًا، لكن الأمور تعقدت قدامي أنا.

- قل لي الموقف يا حامد.

- يوم تنقية الدهب الجوهرجي وزن أزيد من المتفقين عليه، وأمها فكرت في إني ممكن أوافق به... الإحراج جبرني أوافق لحظتها... قفلت بابهم من ساعتها يا عبدالغني.

- أنت طيب يا حامد، وأمها عشمت تشيلك الزيادة. أنا أعرف أتعامل معهم صح الصح يا حامد.

- يبقي تكمل من غير تردد يا صاحبي وتنجز حالك.

وأتى أشرف بطبق كبير به خبز وأطباق صغيرة بها جبن وبيض وعسل، الطعام ينزل باطن عبدالغني في هوجة توتر، تتقبض أمعاؤه عن كل قطعة منه، في تقديره رأي حامد إذن يصعب عليه تخطيه قبل طلب يد هويدا، حامد خطبها قبله، وإن كان ذمها هي أو أهلها ما استطاع هو التقدم إليها

خطبتها، كان متوقعًا أن حامدًا لن يعيبهم، وكان مُكْرَهًا في نفسه على إخبار حامد بانتوائه خطبتها، وقال لنفسه "أنت هابب علي في كل شيء يا حامد" وشقت عليه نفسه النظر إلى حامد.

وفي خلال خمسة أيام خطب هويدا، وبعشائه الأول في بيتهم كانت معه هويدا وأمها، وتطرقت أمها بالحديث إلى حامد:

- صاحبك نطاط من غير سبب.

- يا أمي، حامد إنسان مؤدب وما شفنا منه غير كل خير.

وقع ذكرهما حامدًا على نفسه كأنه تعنيف به على مرأى ومسمع لفيف من الناس، وتفشى فيه غضب ذكر اسم حامد وسيرته، وصار حامد من نهر عذب به إلى مجرى علقم يضنيه ولا طاقة له به، وحامد جزء لا يتجزأ من حياته، وأن تشوب صداقتهما شائبة كارثة، صداقة وفية لما يزيد على عشرين عامًا، خارت مناهضته في مواجهة نفسه، والاستعانة بشخص ما قد تنجده مما فيه، وأشرف أأمن وأفهم من يستطيع التحدث إليه في حاله.

- ما لك مقلوب الحال يا عبدالغني؟!

كان لسان عبدالغني نَمِل وقدماه لا تتحملانه.

- بسبب...

وسكت عبدالغني.

- بسبب ايه يا صاحبي؟

- حامد.

- حامد! ما له؟!

- أنت عارف إن حامد وأهله رفضوني... وخطب هويدا قبل خطوبتي.

- حامد كان أول واحد موافق على خطوبتك لمحاسن، وأهله كانوا موافقين، والرفض كان منها هي، ايه المشكلة حاليًا؟!

- نفسي بقيت قافلة من حامد يا أشرف.

- معقول... معقول يا عبدالغني!

- أنا كلمتك لأني متأكد من إن عندك حل للمشكلة يا أشرف.

كان جلي من عبدالغني شِّحْنَة من حامد، وتحرَّج أشرف مجاهرته بها، وفضّل تسهيل الحل له حتى لا تربُ فيه، وابتسم أشرف:

- يا صاحبي... يا صاحبي تغير من حامد، وغيرتك تزيد عن حدها يا عبدالغني، غيرة يا صاحبي وحذارِ تتعدى حدودها. عمرنا كله صحاب، وصحاب على قلب واحد، والغيرة عمرها ما مستنا. أنت كلمتني لأنك خفت على العِشرة، وأنا متأكد إن كل شيء انتهى.

وظلت شِّحْنَة عبدالغني مقترنة به، دائرة حديدة بؤرتها حامد تدور حول نفسها برأسه، ينام كأنه مستيقظ، وفي اليقظة كأنه في كابوس، عقله يسدده وقلبه ينكثه، وينبذ كل شيء فيه رائحة حامد، وإن كان نسيمًا وطيبًا وأمنًا وسلامًا، ويشغفه كل شيء سواه ولو كان إعصارًا قاتلًا، ذكرياته الصعبة والهنية مع حامد تُدمع عينيه وكأنه يُقطرها بين دموعه وتتزايد شِّحْنَته من حامد عما كانت، واشمئزاز دائم من حامد.

وقف من قعوده على عتبة باب منزلهم وأوصد مصراع الباب، استوقفه ضميره وحاصره في ذكريات له مع أشرف ورجب وطلعت وحامد، توهم كحقيقة مرئية وملموسة ومسموعة في صخب مؤلم له من حدة صوت حامد يلومه على تغيره في قسوة مرة وفي لين مرة، وأخيرة يستميله ليصون صحبتهما ويحفظ العشرة والود الجاري بينهما، دفع وجه حامد بقبضته،

رواية ضوء مغايب الرجل علي رشوان

وصفع جبهة نفسه بقسوة واستفاق من تحكم ضميره، وعثر على نفسه وكتفه مستندة إلى جدار بيت جارهم مقابل بيتهم، انزعج وتسمَّر في الشارع مروَّعًا، وثقب مخيط للعودة إلى حامد عجز عن إيجاده في نفسه "الحل الوحيد أني أبعد عنه وعنهم كلهم" الغل قاتل لا يكتفي بالجسد، يسفك ماضي حامله ويفتك بحاضره ويهلك مستقبله مقدمًا.

(١٢)
مأزق

صافح حامد عمته وهي بفراشها، قصد تعزيز قدرتها على تحدي المرض، سوء حالتها النفسية من حزنها على دسوقي أودى بصحتها، الهم أبطش من الأمراض الخبيثة، أرشدها إلى التفاؤل، به البصيرة تهزم ظلام اليأس، والرجاء يمحى به ضمور الإحباط، والعزيمة تقوّي به الأبدان، لاحظ تورم يديها، وخبأتهما أسفل غطائها.

- أنت تعرف إن يد أمك ورامة يا طلعت؟!

- لا قالت لي أنا ولا أبوي!

- بكرة بدري أعيد الكشف يا ولدي. عمك محمد الصبح يقوم على الأرض، يرجع يروح المدرسة، ومن المدرسة على الأرض.

- تعبك لازم تتعالجي منه بمنتهى السرعة يا عمتي.

وهم في الطريق إلى بندر مدينة ديروط عاتبها محمد برفق على إخفائها عليه نشوء تورم يديها منذ أيام... شخّص الطبيب مرضها بأنه

ضعف طفيف عابر بالكبد سيزول بتعاطي الأدوية بانتظام في أقل من شهر، وأمرها بنظام غذائي وأطعمة معينة وترك أطعمة أخرى، وبالمشي بين كل ساعة، والحذر من بقائها بالفراش ساعات كثيرة.

وكل ما كان يفكر فيه طلعت، ماذا سيفعل لو اتضح أن سراجًا نصاب تلاعب به؟ سؤال بات يعصف برأسه طوال الليل بأسئلة أخرى، هل سيستطع استراد المبلغ منه؟ وكيف...؟ ومتى...؟ وهل يرغمه سراج على اقتراف جريمة ليستعيد منه المبلغ؟ وماذا بعد لو اجترم جناية في حق سراج؟ ومن كثرة تأففه إلتفت إليه حامد وهو جانبه بصندوق السيارة.

- خير... يا طلعت؟!

- كل خير يا حامد.

- أكيد شيء تاعبك يا طلعت، قل...

- الصراحة يا حامد الراجل سراج من أربعة أيام لا رادد علي ولا متصل بي، ومن العصر تليفونه مغلق.

- أنت تعرف بيته وشغله يا طلعت.

- أكيد...

- نسأل عنه ونقابله يا طلعت.

وقبل السادسة صباحًا كان طلعت وحامد وعباس ببندر مدينة ديروط، فضل طلعت ألا يدري عباس بأي شيء عن علاقته بسراج، ثم اختار أن يراه سراج، ولكن تشتد هيبته عند سراج إذا كان برفقته اثنان بدلًا من واحد.

- سِرك محفوظ يا طلعت، ولو الراجل عمل معك الدنيئة أنا أول واحد أتصدر له.

ركن طلعت (التوكتك) في شارع منزل سراج، وانتظروا حتى ميعاد خروجه من البيت. الساعة تجاوزت الثامنة ولم يخرج من البيت أحد، سأل طلعت بقّالًا مجاورًا للبيت عن سراج، إجابة البقال أحاقت به قطيع من الذئاب يعوي سعرًا ويعض بكل جزء فيه "نصب على ناس، والحكومة قبضت عليه" خالَ طلعت ورطته بلا منفذ، وتفصد جسده عرقًا، وبرزت أوداج عنقه من غضبه، وباهتياج وحلقه مغصوص بمرارة وندم على ائتمانه سراجًا.

- قبضت عليه الحكومة في قضايا نصب، ابن الكلب الوسخ.

وبهدوء وتماسك من حامد:

- لازم نفكر في الوصول لحل معه يا طلعت، يلزمنا خطوة سريعة ومحسوبة. ولو معنا محامي يفيدنا يكون أحسن... ينورنا وخطوتنا تكون صح.

دلهم المحامي على طريقة واحدة يستخدمها مع ما يشابه حالة سراج، تبدأ بوصوله إلى المحتال بوصفه محاميًا، وبالتراضي أو بالتهديد والوعيد يوقع المحتال لدائنه مستندًا قانونيًا يثبت حقه، سايره طلعت وحامد وعباس في إنفاذها، كتب المحامي إقرارًا بحيازة سراج أمانة نقدية لطلعت استوجب ردها إليه منذ خمسة عشر يومًا، وأوعز حامد إلى طلعت التعقل صبرًا ورزانة عندما يلقى سراجًا، وألا يطيش وينحرف عن مهمته.

عمِه سراج عندما فوجيء بطلعت ينتظره مع المحامي بغرفة زيارات في مركز الشرطة، لحظات اصطنع سراج الثبات.

- أنت فاكرني نصبت عليك، صح؟ أنا المتنصب عليه.

- نفس الكلام يزعل صاحبي لو قلته له وعرف إنك في السجن.

- أنا لو الفلوس موجودة أريح نفسي من المشاكل...

- معني كلامك إن الفلوس ضاعت.

أنصت سراج ثم قال:

- أوعدك إن الفلوس راجعة لك يا طلعت.

- وأنا مصدقك يا سراج بيه. وعندي طلب بسيط وطمعان إنك تراضي صاحبي.

- طلبك ايه؟

أخرج طلعت من جيبه إيصال الأمانة ومده إلى سراج.

- هو واحد يبقي في حالي ويوقع إمضته على ورق؟! يبقي مجنون يا أخي.

- يبقي أنت قررت تحل المشكلة بمشاكل معنا.

- يا بني مشاكل ايه، هو فينا واحد عنده وقت للمشاكل.

- أنا... أنا عندي وقت للمشاكل، ومستعد أتفرغ لها.

- تقصد ايه...؟!

- بيتك ممكن في لحظة يتحول رماد.

- التهديد والكلام الفارغ ولا يهزو مني شعره.

- وأنا أوعدك بالتنفيذ، أنت وعدتني وخلفت، وأنا وعدتك وأرجل منك، ووعدي أوفي به.

حالَ المحامي بينهما.

- ما دام أنت ناوي ترجع الفلوس امضي له الورقة وراضيه وراضي نفسك يا أستاذ سراج.

لم يستبعد سراج تنفيذ طلعت ما يتوعده به، طلعت البشوش الضحوك مشتعل ولا عقل فيه، المحامي حذره مرات من علو صوته وتوعيته بأنهما في موقف خارج عن القانون ولا يعتبر لكلامه، وخسائره ستكون فادحة إن أشعل النيران في البيت، ولا ضمانة في ألا يفعلها طلعت، وقع وبصم، يتفادى بهما من أي مخاطر قد يقترفها طلعت، وقام طلعت إلى قسم البلاغات، وحرر اِتهامًا ضد سراج بممانعته رد الأمانة.

وتبقى مشكلتان لطلعت، رجب حينما يعلم حقيقة سراج وأثرها عليه، وتأخيره إبلاغ رجب بها كانت حلًّا مؤقتًا لعل سراجًا يرد المبلغ قريبًا، وأن يعلم أبوه منه أو من غيره بوقوعه طواعية في مصيدة محتال يُعد مأزقًا لما يحسبه طلعت من ردود الفعل الغاضبة التي ستناله من أبيه، وأن يتكتم الحادثة ويعلم أبوه من خفراء نقطة الشرطة عندما يأتي إليهم أول إخطار بحضور أولى جلسات المحكمة وهذا لا يأمن عقباه، والأرجح أن الكتمان سيضخم شأن الحادثة لدى أبيه، وبه سترتفع حدة عقابه عليه.

أوشك طلعت على البوح لأبيه بما حدث، لكن ذعره من أبيه قيد لسانه، الكلام حبيس في فمه، ودقائق وتحين الساعة الحادية عشرة وأبوه يترك المكتب ويسبت بفراشه، حض نفسه على التصريح بالكلام وإن شق عليه ما يتلوه، وقوع العقاب عليه أيسر من الانتظار، زجّ بنفسه أمام أبيه، وافتتح يسرد له بداية من يوم تعرفه بسراج، يزيد طلعت في الحكي ووجه أبيه يطفح غيظًا.

- والصبح انقبض عليه في قضايا نصب...

استفحل الغضب بمحمد، وأكمل طلعت سريعًا:

- ووصلت إليه بمحامي... ومضيته وبصمته على إيصال أمانة بأني مداينه بالمبلغ، وكتبت فيه بلاغ، واعترف به في النيابة.

- في حياتك كلها أهبل وأرعن وغبي وتصرفاتك من دماغك من غير مشورة كبير، جهز لي إيصال الأمانة والبلاغ ورقم المحامي، أشوف عمايلك موصلانا في أين.

- حالًا... حالًا... لكن نفسي يا حاج نبعد رجب عن المشكلة، يمكن سراج يصدق ويرد الفلوس بدري.

- كنت حرصت بدل رميك ماله لواحد نصاب، يا غبي... غبي.

مشي محمد تجاه باب حجرة مكتبه، ولحق به طلعت.

- زعلك مني يقهرني يا حاج.

بتهكم وتعجب من محمد:

- زعل! أنت جننتني؟!

وتمتم أبوه يسب طلعت ونفسه، ودفع الباب خلفه بعنف، وارتد طلعت إلى الخلف بسرعة يتفادى اصطدام الباب به، وارتطم الباب بمفصل ذراعه الأيمن، وتوجع من كسر أصيب به.

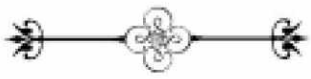

(١٣)
كارثة

صعد عباس وروني وضبيعي ملثمين على حائط بيت مهجور وحديث البناء من الطوب الحجري الأبيض، لا سقف له، وملتصق بمنزل أشرف، أمسك ضبيعي من عباس حبلًا كتانيًّا غليظًا في كل نصف متر من طوله عقدة، وطرفا الحبل كل واحد منهما بإحدى يديه قذف منتصف الحبل لأعلى وأسقطه بين قطع الحديد المنبثقة من نهاية أحد الأعمدة الخرسانية في سطح منزل أشرف، وأحد طرفي الحبل بنهايته عقدة أدخلها ضبيعي في ثنية الحبل التي بنهاية طرفه الآخر، وشدها إلى أن احتكمت دائرة الحبل من حول عدد من قطع الحديد بنهاية العمود الخرساني، وعلِق ضبيعي بالحبل، وتسلق حائط منزل أشرف، وبعده عباس وروني

وكلاً منهم بيمينه مسدسه وبيساره كشاف يدوي صغير نزلوا إلى صالة الطابق الأرضي في هدوء وحذر، وأومض ضبيعي ومضة سريعة من كشافه عبر الصالة؛ فقفزت قطة نورا من أريكة في الصالة، واصطدمت بزهرية

رواية ضوء مفاجئ للكاتب علي رشوان

على المنضدة وسط الصالة، وارتطامها بالأرض أيقظ نورا وأشرف من النوم، وخمن أشرف ونورا أن القطة طرحت شيئًا عن مكانه.

- أقوم أنا أطردها يا أشرف.

وأشار ضبيعي لعباس وروني بالتراجع إلى السلم، واندس في المطبخ، وأحس بخطوات نورا عبر الصالة فاختبأ خلف باب حجرة المطبخ، وتخوف من صعودها السلم، فطرق غسالة طرقة ضعيفة بمسدسه يستدرجها بها إلى حجرة المطبخ.

وأضاءت نورا مصباح الصالة، ودخلت إلى المطبخ أشعلت مصباحه، ومن خلفها قبض ضبيعي على فمها بيده، وضرب رأسها بيد مسدسه؛ فأغشي عليها، ومددها على الأرض ببطء وهدوء، واتجه إلى السلم، وبالإشارة أمر روني بالوقوف جوار نورا، ومشى إلى غرفة النوم وعباس من خلفه، رآهما أشرف وتظاهر بالنوم، وجه عباس مسدسه إلى أشرف يحترز من استيقاظه، وأشرع ضبيعي بابين من الدولاب، وفتش ما بأرففهما تحت ضوء كشافه، وفي الثالث كانت علبة ذهب نورا بأعلى رف مع ملابسها، أمسكها ورفع غطاءها فوجد بها قطع ذهب، وخرجا من الغرفة.

هب أشرف من فراشه، وتلقف مسدسه وخزينة طلقاته من فوق الدولاب، أدغم الخزينة بالمسدس وهو يجري إلى سلم البيت، وتباطأ في صعود درجاته الأخيرة يحاذر من أن يلمحه سارقوه، كان عباس وروني قد هبطا إلى المنزل الصاعدين منه وعلبة الذهب بيد عباس، وضبيعي يدير نفسه من فوق حائط منزل أشرف أطلق عليه أشرف رصاصتين متتابعتين، خلالهما ضبيعي علق نفسه بحبل تسلقهم أسفل مستوى ارتفاع الحائط، وجعلها حاجزًا بينه وبين أشرف، ورفع مسدسه من أعلى الحائط، وصوب

رواق ضوء شفاء / الكاتب علي رمضان

رصاصتين متلاحقتين نحو أشرف، فتراجع أشرف إلى الوراء، وهبط ضبيعي إلى عباس وروني، وأطلق عباس رصاصات إلى ما فوق حائط منزل أشرف عند موضع تسلقهم وهبوطهم، وقفزوا من أعلى البيت إلى خارجه وأطلقوا الرصاص إلى أعلى بعشوائية وهم يركضون إلى دراجة نارية لهم بظلمة شجرة في طريق ترابي ضيق.

سمع أشرف صوت تشغيل دراجتهم، واعتلى الحائط القادم من ناحيته صوت دراجتهم، وقد امتطى ضبيعي الدراجة سائقًا لها ومن خلفه روني، وعباس يشرع في الركوب، صوب أشرف إليهم طلقات متلاحقة فأصاب عباس برصاصة في ساق رجل من رجليه، وأنّ عباس من ألم الإصابة، وضبيعي وروني أطلقا رصاصات كثيرة نحو أشرف بعد أن هبط أشرف من فوق الحائط، ونزل روني من فوق الدراجة، وأخذ من عباس علبة الذهب، وأقعده أمامه بالدراجة.

تلاشى صوت الدراجة تدريجيًّا عن أشرف، فنزل إلى صالة المنزل وهو ينادي نورا، توقع أن يكون أصابها اللصوص بأذى، ارتعب وجرى إلى الحمام، ظنها في الحمام من قبل تسلل اللصوص إلى حجرة النوم... اندفع من الحمام إلى المطبخ، كان الدم ينضّ من رأسها، حاول إفاقتها ولم يتمكن، وطوى طرحتها وربطها من أسفل وجهها لأعلى رأسها، نزَّر سيلان الدم، وحملها على ذراعيه إلى الفراش، واتصل بأخيه الأكبر سالم... حاول الاتصال بعبدالغني ولم يرد فاتصل برجب... حمل نورا على ذراعيه... عاونه سالم حتى جلس في السيارة التي أحضرها، وأجلس نورا بعرض مقعدين وكتفيها على رجليه ورأسها بكفه، وفي تلك الأثناء وصل رجب وحامد بسيارة، وطلب سالم من السائقين سرعة السير.

رواية ضوء مغايرة الكاتب رشوان

حين دخل أشرف بنورا إلى طبيب قسم استقبال الطوارىء بمستشفى ديروط العام، لاحظ طبيب الجراحة آثار دم قريبة من منطقة الرحم، توقع الطبيب إصابتها بنزيف من الرحم... طبيب زميل له أكد لهما أنها ستسقط الجنين في الدقائق القادمة، وسينقلها إلى قسم العناية المركزة.

- المهم إنها تقوم بالسلامة يا دكتور.

- اطمن يا أستاذ أشرف، كلها ساعتين وتروح بيتها بالسلامة.

خيط الطبيب جرح رأسها... استعادت وعيها وأشرف ينظف وجهها وأذنيها من الدماء بقطعة قطن.

- بسيطة يا نورا... بسيطة بأذن الله وتقومي بالسلامة.

- بإذن الله... لا أمي ولا أبوي ولا أخواتي يدرو... يا أشرف.

- حاضر...

وبعطف من أشرف: إياكي تزعلي من سقوط الحمل يا نورا.

اغرورقت عيناها بالحزن.

- نصيبنا قاعد لنا بإذن الله يا أشرف.

نقلها ممرضون وعمال إلى غرفة عمليات، وأشرف رجع إلى نقطة شرطة المسشفى، وراحة لنورا ونفسه من الإجرءات التالية، أقنع أمين الشرطة بأن جزءًا من أدراج المطبخ المعلقة انفصل ونورا تحته، وأن الحادثة هينة لا تستحق إثبات محضر، وبكل دقة وتفصيلة حكى أشرف لسالم وحامد ورجب ما فعله اللصوص، وكيف طاردهم، ونقبوا برأس أشرف عن هيئة أو صوت أو كلمة ترشدهم إلى أي معلومة عن اللصوص، وأخفقوا في الحصول على رمز أوعلامة واضحة، وألح عليهم سالم بألا

يؤكدوا سرقة اللصوص البيت، الكتمان يصون هيبة أسرتهم من أعين أهل القرية ومن له صلة بهم.

- تعبت حامد معنا وهو يومه كله تعب يا رجب.

- كان زعل مني يا أشرف... وعبدالغني اتصلت به وأكيد نام متأخر، وطلعت المفروض يكون معنا لكن رجله تزحلقت على البلاط ويده انكسرت.

بُغت أشرف وحامد، وسألا رجب معا:

أشرف: وهو عامل إيه...؟!

حامد: وكيف حاله؟!

- جبسها، وراق وتمام.

بَسَط حامد يده باندهاش.

- لا رنيت ولا قلت يا رجب!

- الوقت كان متأخر، وأنا كنت كنت معه يا حامد.

وردت إلى حامد رسالة صوتية من عباس في السابعة صباحًا، وأسمعه عباس منها صوت ضجيج سير قطار من مقطع صوتي من هاتف ضبيعي في أثناء تسجيله الرسالة "اعذرني يا حامد، أنا مسافر لشغل في القاهرة، عرضه علي واحد صاحبي" ورد عليه حامد "ربنا يستر عليك، شد حيلك" وصلت إلى عباس وهو يحدق بجواله مترقبًا إياها خائفًا من أن يكون أشرف تعرف عليه أو على روني، وأرسل رسالته يبعد بها شكهم عنه إن كان خوفه في غير محله، هدّأته رسالة حامد، وألقى ظهره إلى وسادة سرير في مستشفى أخرج له طبيبها الرصاصة من ساقه بتوصية وضمان للسرية من طبيب صديق لضبيعي، آنئذٍ دخلت أحلام الغرفة برفقة زميلة لها، وقطّعت

أوصال أفكاره رعبًا، أسقط نفسه في الموقف بسبب كذبه على الطبيب عندما سأله عن قريته وكيفية إصابته، بحسب إخفاء حقيقة شخصيته عن الطبيب قطع خيطًا قد تستدل به الشرطة عليه إذا تداول الطبيب بياناته الشخصية مع العاملين في المستشفى أو غيرهم.

(١٤)
مجرم يتحصن

ارتجفت أحلام من أن يكون حامد وعباس وطلعت وقعوا بحادث معًا.

- الحمد لله على سلامتك يا عباس، إيه حصل...؟!

جلس عباس من استلقائه وارتكز على كفتيه.

- أنا بخير، وحامد بخير، هو كان بعيد عني وقت وقوعي في الحادثة.

- الحمد لله على كل حال، أنا كنت محتاج أتكلم معكي كلمتين.

أحلام للممرضة: أمشي لبيتك انتِ.

راجعت الممرضة مع أحلام الأدوية التي خصّ الطبيب بها عباسًا قبل خروجه بعد ساعة من الآن، وودعت صبرية...

- خير يا عباس...؟ انت لو محتاج أي خدمة قل لي.

- خدمة بسيطة من غير تكاليف.

- وأنا تحت أمرك يا عباس، انت وقفت معنا وكلنا مقدرينك يا عباس.

- بنت ناس.

- قل محتاج إيه يا عباس؟

- محتاج إن ولا واحد غيري وغيرك يعرف إني تعالجت هنا.

- سهلة يا عباس، لكن من معك هنا؟

- لوحدي، وأرجوكِ ولا مخلوق خلقه ربنا يعرف منك إنك شوفتيني هنا أو في أي مكان.

- هو انت عملت مشكلة يا عباس؟ وحامد يعرف إنك في المستشفى؟ أنت مقفل على الخبر؟

- في الليل كنت مسافر، وحصلت مشكلة عند الموقف، وطلقة رصاصة صابتني، وأشرف صاحب حامد حرامية هجموا على بيته في الليل وهو ضرب عليهم نار، وممكن إصابتي تطيش ناس ويتهموني اتهام زور.

تشككت أحلام فيما حكاه لها عباس، وريبتها لفحت وجهه، وكخفاش يفرز لعابًا من بطنه يحميه من خطورة ضحاياه مدّ عنقه إليها وهو يقول:

- نهايته.

وأردف.

- أنا كاتم لكم سر، لو حد عرفه سمعتكم يداس عليها بجزم الناس.

رمقته بعبوس.

- أنا يصعب علي لو حد عرف إن أخوكِ خفاجي على علاقة بوهيبة الجزراوية المطلقة، وله زيارات عندها أول بأول.

اكفهر وجهها من شدة الغضب.

- انت كلب وحقير، وممكن تقول أي كلمة تنقذك من الورطة الواقع فيها.

- أعديها إهانتك لي تقدير لحامد، محمول وهيبة محتفظ به وعليه اتصالاتهم الأخيرة في قلب الليل.

- انت حيوان، وخنت الناس الواقفة معك يا كلب، كان كل أملهم يعملوا منك راجل وانت خنتهم يا حقير!

- انتِ حرة، والعقل أحسن من حل يضر الكل.

- لو خفاجي عرف أنك قلت كلمة في حقه ممكن يقتلك يا عباس.

- قلة الكلام أحسن من العجن واللت، طول ما انتِ ساكتة أنا ساكت، لو عكيتي ممكن بيتكم يغطس في بحر.

بصقت أحلام في وجهه وخرجت، استسمحت زميلها في قسط من الراحة وتخريج عباس في ميعاده، وظلت في شرفة المستشفى والأرض تميد بها وتغبر رمادًا حد بصرها، أخوها خفاجي سيكون عرضة للقتل إذا ثرثر عباس بما لديه لآخرين، وعباس قد يجترم جريمة في حق أخوتها أو في حقها هي لو أرشدت الشرطة عليه، ومجرم بين يديها يحصن نفسه بشرف عائلتها عامة وأخيها خاصة، والتغافل عنه وتركه حرًّا ليس مأمنًا من خطورته، وسرقاته السابقة واللاحقة وكل جرم ارتكبه أو سيقترفه هي ضالعة معه فيه بتسترها عليه، وما ذنب الضحايا؟ وأين الحل؟ وكيف طريقه؟ وما نتائجه؟ ومتى تنتهي هذه الفاجعة؟ أسئلة تنازعت بأعصابها زحفًا وراء إجابة بسراب مظلم ملتهب.

استكانت تدريجيًّا، وجففت عرق وجهها ورقبتها بعد خروج عباس من المستشفى، وارتأت ضرورة الإفصاح لحامد عن خداع عباس له، قد يهوي به عباس إلى كارثة شعواء إن لم يحترس منه، وليشاركها حامد في التفكير بحل صائب آمن مضمر لما تريد ستره بشأن خفاجي، وتدنو منها السكينة ولو عابرة.

رواية سوء مقابلة الكاتب علي رشوان

- أنا لازم أشوفك يا حامد لو انت قريب مني.

- أنا في ديروط، خير...؟!

- أنا في الشغل، أشرح لك لما توصل.

- فيه إيه؟!

- اطمن، أنا بخير وتمام.

لم توضح أحلام ما لديها، يبدو أن أمرًا عارضًا قد وقع، استأذن أشرف... قابلها حامد مضطربة وشاحبة في مدخل مبنى المستشفى.

- كارثة... يا حامد.

- حصل ايه؟!

- انت عرفت إن حرامية نطوا بيت صاحبك أشرف؟

- عرفت، وكنت معهم في المستشفي، ونورا سقطت الجنين، في شيء غيره؟

لطمت خديها.

- عباس صاحبكم هو الحرامي ومعه ناس.

انذعر حامد.

- عرفتي كيف...؟!

- رصاصة من أشرف صابت رجله، وكان في المستشفى هنا، وشفته بعيني، وتكلمت أنا وهو.

- وقال لك إيه...؟!

- عينه يدب فيها رصاصة يا حامد، قال لي خفاجي على علاقة بوهيبة الجزراوية إللي ساكنة في طريق أرضنا.

اضطرب حامد، اعتصر هاتفه بقبضته، وأكملت أحلام.

- وإنه معه تليفونها ومسجل به مكالمات لخفاجي ووهيبة.

- وقعة طين.

- المفروض تصبر وتفكر صح يا حامد، الحل لازم يكون من غير ضرر على أي واحد مننا.

- كل مشكلة ولها حل يا أحلام، قلقك فظيع، ممكن يضرك، لو هو إحتك بكِ طمئنيه وبلغيني.

- ربنا يصبرني عليه ابن الكلب الخسيس.

- من كان معه؟

- أنا لما دخلت الغرفة كان وحده، وزميلي قال لي إنه دخل المستشفى وحده، وهو خارج الممرض ركبه من الشارع.

تسبب عباس في قتل جنين أشرف ونورا الذي كان سيصبح مولدهما الأول، وأرهبهما وعذب نورا بجرح رأسها وعملية إسقاط الجنين، وقد يكون هو من رسم خطة سرقة بهائم والد عبدالغني، إظهار جرائمه ومعاقبته ضرورة لا بُد منها، وصِدق قوله في خفاجي محتَمل، وقد تكون هي مشكلة خفاجي مع أبيه، وقد تراق دماء إذا ثرثر عباس عن خفاجي هل يعقل أن يمرق عباس من العقاب ويسرق ويصيب ويقتل آخرين؟ تبرم من خفاجي، دفعه إلى بين كفي محنة فتاكة، لن ترضخ إلا لحل استثنائي، حل يعاقب عباس ويستر خفاجي ويدوس بذرة شجرة الدم ويفتتها قبل أن تسقى بسر خفاجي ووهيبة وتضخم شعابها المهلكة، وتمطر جَنيُّها القاتل على العائلتين، هل علم والده بعلاقة خفاجي ووهيبة وكانت سببًا من أسباب أزمة أبيه؟ أين الحل الداني السريع المحكم يمحو به المشكلة ويبحث عن أبيه دون أن يشغله غيره، ضرب يديه بركبتيه،

وشد انتباه رجب جانبه بصندوق السيارة عائدين إلى قريتهم خلف أشرف ونورا وسالم في سيارة أمامهم. تمني حامد أن يُقصي صخب القلق وضجيج التوتر بعيدًا عنه دقائق ويستل حلًا عاجلًا من رأسه، الأماني لا تفكك عقد المشاكل، وحل أي مشكلة يتطلب رصانة، والتفكير في فداحتها فقط مضيعة للوقت، والوقت هو الشيء الوحيد الذي لا يتوقف ولا يهدأ، وعباس قد ينتهزه ويتداوى ويهاجر إلى دولة أخرى، وقد يجني على آخرين.. حضور الذهن ورباطة الجأش متلازمتان للشخصية القوية، تمسك بهما حامد وجلب حلًا وحيدًا.

أم أشرف وأخوه الأصغر منه بخمس أعوام وأختاه وقليل من أقاربه وطلعت كانوا ينتظرونهم في فناء البيت، ودخل الجميع من بعد أشرف ونورا باستثناء حامد، حاذى بوابة البيت وحدث نفسه "لوما خوفي من فتح باب الدم بيننا وبين أهل وهيبة كنت أشفي نفسك من عباس بيدي يا صاحبي" أغذ في السير إلى الأرض، وخفاجي كان يحش البرسيم من قطعة الأرض التي بدايتها حظيرة بهائمهم، قطع الأراضي حولهما بعضها مزروعة برسيم، وبعض منها نابت منه القمح في باكورة نموه، وقليل منها مزروع فيه الكرنب والفول البلدي والقصب، مرّ بأُذن حامد قول أبيه: "القادر يقلع شجرة الدم قبل ما نار فروعها تطول البيوت وتخربها يقلعها" الحل إنجازه يعتمد على خفاجي، ولا بد من اعتراف خفاجي بعلاقته بوهيبة كأول خطوة إلى الحل.

- صاحبك أخباره إيه هو وجماعته يا حامد؟

- مرته سقطت الحمل يا خفاجي.

- تعرف يا حامد لو وقع بيدي كلاب الليل أصحاب العاملة، أحش رقابهم حش.

وجزّ خفاجي بمنجله في الفضاء، وقعد حامد على حزمة برسيم.

- الحاج كأنه كان حاسس إن شيء وحش منتظره يا خفاجي، ووصاني وصية تخصك آخر ليلة له معنا.

رفع خفاجي حاجبيه وغرز نصل منجله في الأرض.

- وصية إيه... يا حامد؟!

- إنك تكتب كتابك انت ووهيبة الجزراوية المطلقة في أقرب وقت.

ذهل خفاجي ووقف.

- أبوك قال لك الكلام...؟!

قاطعه حامد

- وصية، وصاني يا خفاجي...

- أبوك وصاك صدق يا حامد...؟!

- كدبت عليك في حياتي يا خفاجي؟

- أنا أقصد إنها وصية غريبة يا حامد.

- أكيد أبوك يقصد خير يا خفاجي، وانت واجب عليك تنفذ وصيته يا خفاجي.

لحظه خفاجي بمؤخر عينه.

- قال لك سبب الوصية يا حامد؟

- الحاج كان له أمور يحتفظ بأسبابها لنفسه، والسبب بالنسبة لي أنا لا يهمني، المهم إنك تعمل بوصية أبوك.

- للأسف... للأسف يا حامد صعب... صعبة على قوي وصية أبوك.

- يعني إيه يا خفاجي؟

- ينفع أربط روحي بوحدة من غير ما أريدها يا حامد؟

- أبونا أكيد عنده أسباب مهمة للوصية يا خفاجي.

- الحاج الفترة الأخيرة تعب وتصرفاته كانت غريبة، أول ما يرد إلينا بإذن الله، ويشفى... نتكلم معه يا حامد.

- قال لي التأخير ضد مصلحتك ومصلحتنا يا خفاجي.

شك خفاجي في أن حامدًا على دراية بعلاقته بوهيبة.

- أبوك الأيام الأخيرة غصب عنه كان عيان ويتخيل أمور فيها العجب يا حامد.

عض حامد شفته بأسنانه ووقف.

- أبوي كان متعاف وواعي لكل كلمة قالها لي.

- أنت متعلم يا حامد وعارف إن مرض الحاج صعب قوي.

- إخلي الوصية عني لما الحاج يرجع وأسمع منه.

صرخ فيه حامد.

- لازم تنفذها يا خفاجي.

- تقصد إيه يا حامد؟!

- من الآخر يا خفاجي، تليفون وهيبة تحت يد واحد حقير، ومسجل عليه مكالمات بتواريخها وسعاتها لك أنت ووهيبة.

وجه خفاجي كأنه ضرب ضربة عنيفة بحزمة فروع متشعبة أشواكها لوت رقبته وأدارت وجهه عن حامد، وأصات صرف أنيابه من الألم والغيظ.

- وطالب مني أسكت على جريمة عملها يا خفاجي.

- من هو يا حامد؟

- واحد سافل يا خفاجي.

- أنا سألتك من هو يا حامد، أعمل إيه أنا بوصفه؟!

- طلِّع من دماغك إني أقول لك مين هو.

- أسمع يا حامد، لو عاندت معي إنسى إن المشكلة حلها يكون عندي.

- أنت ممكن تعمل مصيبة في غني عنها يا خفاجي.

- وعد مني يا حامد لو قلت لي عمري ما أهارشه، وأتجنبه أول وآخر، أحسن من إني أقع أنا وهو في موقف ويلُك بلسانه في حقنا.

- أنت لو خطيت خطوة واحدة غلط ممكن تخرب بسببها بيوت، وأنت واعي كلامي يا خفاجي، ووعدك لو خالفته أخويتنا خلصت.

- عند وعدي يا حامد.

- هو عباس يا خفاجي.

- من عباس؟

- عباس صاحبنا.

- وعباس لعب بكم الحرامي ابن الكلب.

- إياك تناوشه يا خفاجي، ممكن البيوت تخرب فيها.

- هو أنا مجنون يا أخوي!

- المهم يا خفاجي تقول لي ميعاد نقعد فيه أخ وهيبة الكبير.

وتكليف قاتل بأجر بقتل عباس كان الحل الوحيد من خفاجي لنفسه.

- أيام والحكاية تكون خلصت يا حامد، أسبوع... أسبوع واحد يا حامد.

- أسبوع طويل يا خفاجي.

- أقل من أسبوع يا حامد... أكون قلت لمرتي، وأصبرها أحسن ما ترمي العيال وتطلق...

- عندي سؤال يا خفاجي وأتمني تجاوبني عليه.

أطرق حامد ثم سأله:

- أبوي عرف علاقتك بوهيبة كيف؟

- شافني وأنا خارج من بيتها.

- أبوك كان غضبان منك بسبب شيء غيرها.

هز خفاجي رأسه بالنفي.

وسلك حامد طريق بيت عمته، وحادث أحلام بالمحمول وبشرها بحل المشكلة خلال أسبوع واحد فقط، وأَمَرَها بالانقطاع عن العمل مدة أسبوع، كانت عمته نائمة، وصارحه طلعت بما حدث، وبإكنانه ووالده الحقيقة عن أمه... غلى دم طلعت من وقوع حادثة أشرف وما فيها.

وقصد حامد البحث عن أبيه في عدد من قرى مدينة أبو قرقاص شمال مدينة ملوي وفكره يدوي بصدى همومه، أب مفقود، وأخت مهددة، وأخ متورط، وصديق مظلوم، وحق ضائع لأم فقدت ابنها المنتظر، ومجرم مدان وحر طليق، ويبحث عن أبيه وحيدًا، والوحدة جفاء يجعل الإنسان هدفًا لدخلاء النفس، ومن لا يريد أن يبحث معه أهل الأرض أجمع عن أبيه إذا فقده؟ الأب هو الحب المنظم وكيان الابن المرئي، وقوة داعمة محفزة لابنه وإن فصلت بينهما بحور وجبال.

(١٥)
ثبات الأحبة

رنت نغمة استلام رسائل تطبيق "واتس أب"، يسمع حامد رنين الهاتف ويأمل أن يدله المتصل أو المرسل عن أبيه، كانت رسالة من رحاب بميعاد البرنامج الذي سيحتوي تقريرها عن سرقة بهائم والد عبدالغني، وأتبعتها برسالة تسأل حامد عن حاله وعن والده، ورد حامد "متشكر لِاهتمامك، الحمد لله، والحاج ربنا يقربنا منه" واستأنف حامد يبحث عن أبيه ويضع الملصقات ويوزع صور أبيه، وغصص تتفشى فيه، خسر قدرًا ملحوظًا من وزنه، يقتات لقيمات يُكره نفسه عليها منذ غياب أبيه، وأطراف من أصابع قدميه جرحت ونزت دماء ولم يشعر بها إلا وهو يخلع جوربه على فراشه.

تصفح حامد في هاتفه كوسيلة يجذب بها النوم، من أصعب ما يواجه الإنسان في الحياة أن تكتظ نفسه بالمشاكل والمخاطر ولا يستطع التفوه بها، قرأ رسائل رحاب إليه، واستطاب قراءتها كلمة كلمة، كلما انتهى

منها قرأها، وفي المرة الرابعة شعر أن التحدث معها سيطمئنه ولو بطريقة غير مباشرة، كتب حامد "أخبارك أستاذة رحاب؟ أتمنى تكوني بخير" وأرسلها وتشكلت سيماء تسليم الرسالة، وانتظاره الرد استحضر هيبة مبهة فيه، هو متأكد من تقدير رحاب لجوءه إليها وقت معاناته، وربما كانت الهيبة نافذة من مكانة رحاب السامية عنده، نشط حساب رحاب، وعلى الفور ظهر لحامد إشارة رؤيتها الرسالة وعلامة كتابتها الآن إليه، رنين نغمة وصول الرسالة من رحاب هذه المرة كان له واقع جلجلة مع توقعه وانتظاره استلام الرسالة "الحمد لله بخير، طمني عليك يا حامد" أرسلتها رحاب وعادت بالهاتف إلى مكتبها، وحفظت تغيرات قامت بها على ملف تحرير كلمات بالحاسب الآلي، ووردت رسالة منه إليها "بصراحة تعبان ومضغوط جدا" فأرسلت إليه "أرمي حملك على الله" "بسبب مشكلة الحاج؟" رد عليها "هي وغيرها" "لو عندك مشكلة محيرة، قل لي، وأنا لو قدرت أفيدك برأي، أفيدك" كتب لها "مع احترامي الكبير لك، وثقتي العالية بك، لكنها مشاكل خاصة بأسرار ناس غيري" "متشكرة لذوقك وثقتك بي" أرسل إليها "يوم من أصعب أيام حياتي" "قم بدورك على أكمل وجه، واصبر، وحافظ على نفسك، وخير بإذن الله" كتبت رحاب الرسالة بيقين من أنها أصبحت ذات مكانة مهمة عند حامد من تخيره لها مع احتشاد المشاكل عليه، وكلمات "حافظ على نفسك" أحس حامد منها بشعورها بهمومه واعتنائها به، وغايتها تقويته ووقايته من مخاطر وآلام أزمته، ورفعة تمسكها به، وأرسل إليها "يا رب" "في الليل حرمية نطوا بيت واحد من أصحابي... وضربوا مرته.. وسقطوها الحمل... ويمكن هما حرامية سرقة مواشي والد عبدالغني" أسفت رحاب

ضوء مغاير روايات الكتاب الإلكتروني للأطفال

"مسكوهم؟" "صاحبي حس بهم وضرب عليهم نار لكن هربوا" "سرقوا شيء؟" "دهب مرته" وأرسلت إليه رحاب "ربنا يصبرهم ويرزقه غيره" وسألته "هو صاحبك ومقرب منك؟" "عزيز علي جدًا، ودور معي على الحاج كذا يوم، وغاب من شغله، وكان رافض يسيبني لو لا أني أصريت..." "أنا محتاجة أتعرف بمرته يا حامد، ممكن...؟" "ممكن، وممكن أعرف السبب؟ لأن التقارير والتصوير مرفوض" ردت عليه "لا... أنا نفسي أكلمها وأُهون عليها" تمعن في رسالتها مليًا، هي تتقترب إليه عن قصد، وميلها إليه عبَرَ مراحله الأولى إلى تعلق به ترسخ في قلبها، وتؤسس لنفسها مكانة تسعها في حياته هو، "لو تعلمي مقدار قيمتك عندي أكون مرتاح" قالها حامد في نفسه، وأرسل إليها "انتظري دقيقة"

وأملى عليه أشرف رقم جوال نورا مرحبًا باهتمامها بها... أرسل رقم الهاتف إلى رحاب... امتدت المكالمة بين رحاب ونورا إلى تحديد عصر غد لزيارة تقوم بها إلى نورا، وكتبت رحاب إلى حامد تواعدها ونورا على الزيارة غدًا.

رقت رحاب لحالها وعطفت عليها، واقشعر رأسها لما قالته لها نورا عن عمق جرحها وغرزه الثلاثة، وأعجبت رحاب بصلابة نورا ومزحها وابتسامتها في ظل وعكتها المرضية، وبإسهاب قصَّت نورا لرحاب قصة ارتباطها بأشرف، وفي خاتمتها ذكرت لها نورا أن الشيء الوحيد الذي نقص أشرف في حفل زواجهما غياب حامد عنه... تشتت نظرات رحاب عن وجه نورا، وغمزت نورا بعينها مبتسمة؛ فابتسمت رحاب باستحياء ابتسامة وضيئة، وكان واضحًا لنورا اشتهاء رحاب التطرق في حديثها إلى حامد.

روايات مصورة بأقلام مغايرة / الكاتب علي رشوان

- من أيام قليلة حامد كان له موقف جميل مع واحد من أصحابه.

- إيه... قل لي...؟

- واحد صاحبه اسمه رجب باع دهب مَرَته، وحماه عمل مشكلة كبيرة، صمم على إن رجب يشتري الدهب أو يحرمه من مَرَته، وفلوس الدهب كان رجب اتصرف فيها، وكان رأسه وألف سيف لا يشتري دهب ولا غيره، وحامد وأشرف أجبروه على شراء الدهب بمبلغ من حامد.

- أولاد حلال.

- ومعي موقف منه يبان لك منه طريقة تفكير حامد.

- عرفيني...

- حامد من كام يوم كان زعلان من نفسه جدًا بسبب قلقه من إن علاقته بك تتطور، وبعدها تفترقوا بسبب ظروفه الصعبة وشغلك، ويكون هو ضيع وقتك ومشاعرك من غير ما يفيدك، كانت وجهة نظره لكن أشرف عارضه، ونصحه بالصبر وتفاءل الخير.

- أنا بقيت واثقة إن احترام حامد وتقديره لي مستمرين معي في أي ظروف، وأتمني إن أشرف يفهمه إني في انتظاره لما تتعدل ظروفه وأنا راضية به وبشغله، وشغلي لا يمكن يكون سبب في تقصيري في حقه في أي جانب، وأنا واثقه إنه متفاهم ولا يمكن يعطلني عن شغلي.

الحب قبل التعارف تفكير، وبعده تشبث ودفاع، أصبح حامد رؤية صادقة تحققت طالما رأتها رحاب في اليقظة والثبوت منذ استواء أنوثتها، وهو طريق آمن مؤنس أخّاذ يؤدي إلى حياة صافية المذاق والمحتوى، فلا رجعة ولا تعجل ولا تحويل عن حامد، وما أفصحت عنه رحاب فاق مستوى توقعات أشرف، بجَّل أشرف تطرق نورا إلى حامد في حديثها مع

رحاب ببسط مواقف خيّرة وقوية له، واستهناً تفويضه من رحاب باطلاع حامد على تعهدها بانتظاره وتفهمها ظروفه، حامد يحتاج إلى قلب يدفق بقلبه ويصونه، ملمة أبيه، وتخاذل خفاجي وأدهم في البحث عن أبيهما، وبحثه عنه منفردًا، ووعكة عمته، والتشهير بأدهم، يغص بِهم قلبه وحيدًا، ورحاب بطبائعها كفيلة بدورها، من يحب ويخلص ويذوق ويهناً ينير للآخرين من وهج حبه ويرويهم من عذوبة قلبه، فكيف إذا كان المحبوب صديقًا حميمًا؟

- رسالتها إليك بعد كلامها مع نورا وضعت النقط على الحروف وجمعت القلوب مع بعضها يا صاحبي.

كلمات أشرف أبطأت خطوات حامد وهو في طريق بقرية من قرى مدينة منفلوط، شعوره بالمسئولية قبل رحاب في أحواله الآنية العسيرة حِمْل طُرِحَ على عاتقه، احتسبه حامد أنه حَملَه على نفسه بارتسام مشاعره عليه أمام رحاب، وألقى على نفسه مسئولية إصرار رحاب على الارتباط به وبقائها في انتظار المجهول، ساط نفسه بضربات ندم قاسية، إخفاقه في كتمان مشاعره أحدث ما كان يمانعه، ما حدث قد حدث، لن تعود القلوب إلى كونها الأول، وفرض على نفسه خطبة رحاب توّ عثوره على أبيه، وما تبقى سيتمكن من السعي إليه لاحقًا.

(١٦)
إبتزاز

إذا اجتمع الخبث والطمع في إنس وكّلته الشياطين على تدمير مَن حوله وراحت في سبات عميق، الديون حيلة تُمكن أدهم من التمهيد لطلبه من حامد، وإبرام مساومته له بها منتصف الليلة والحصول على أي مكاسب منه.

- أول مرة تسأل عني متأخر يا أدهم، ما لك؟!

- أنا علي ديون ولازم أسددها يا حامد.

لم يصدقه حامد وجاراه الحديث.

- المطلوب مني يا أدهم؟

زحف أدهم كما هو جالس بأريكته إلى حامد.

- أنا محتاج زرعة أزرعها، توفر معي مبلغ من الراتب كل شهر أسدد منه ديوني واحدة واحدة.

وبخشونة من حامد:

- لما أبوك يرجع ويتعالج نحل معه.

وقف أدهم وغضب الدنيا عليه.

- معناه إني أقعد الديون حابسة نفسي ليوم منتظرينه طول حياتنا في علم الغيب.

- قل يا رب.

- وأعيش الواقع يا حامد.

- أبوك هو الوحيد صاحب الكلمة وحر في أرضه، ولو أنت طاوعته كنت اغتنيت بالحلال عن الحرام.

كان هاتف حامد بيده، وضعه بجواره بعنف واستكمل بتذمر:

- يكون السبب في إنك تمد يدك على الحرام، وتعصيه، وتفضحنا؟ الله أعلم، لو أبوي كان موجود وبصحته كان حاسبك كيف.

- اسمعني يا حامد، أبوك الحقيقة إنه تعبان وفاقد وعيه، ولو رفعت ضده قضية حجر...

وقبض حامد كتف جلباب أدهم بقوة وبغض:

- أكل الحرام عماك وسعرك يا أدهم، لكن أنت أكيد عارف إني ممكن أحارب الدنيا كلها لأجل أبوي، وكلامك أكدلي إنك الأيام الأخيرة عملت مصيبة معه، وكنت سبب من أسباب مرضه، وهو حذر من أنه يكرهنا في بعضنا ودفن همه في صدره وعيي به.

- مرض الحاج أنا بريء منه، غيتك انت تلفقني مرضه كيد من غير سبب يا حامد.

- كيد..؟! كيد يا أدهم؟! أبونا يستحق قضية حجر يا أدهم، وأنت تستحق الأرض؟! انت عميت وطرشت يا أدهم، يرضيك كم ألف يا أدهم؟

تملص أدهم من قبضة حامد.

- من تسعين ألف وزيادة.

- المبلغ متوفر بشرط أنك توقع لي على ورقة بأنك مدين لي بالمبلغ إذا رفعت القضية.

- وأنا موافق.

- العصر ننهيها يا أدهم.

كل خطوة لأدهم إلى باب المنزل تفرق بينه وبين أدهم أميال وأزمنة، شان نفسه، سفه نفسه، تعنيفه لأدهم تشكل له برد فعل اشتط على حدوده فيه، أبوه أغمد خطايا ابنيه في بطنه ومرض بها، من أين يأتى بالصبر على من أضنى أباه وتركه في تيهته ولا يبالي بهلاكه؟ أيقظ خفاجى من نومه واشتكى إليه من أدهم وتصنع خفاجى الذهول والغضب من أدهم.

- معقولة! قضية حجر يا أدهم؟! نطق بها كيف؟! وأنت كيف رديت عليه؟!

- قلت له أعطيك المبلغ ويكتب لي ورقة بأنه مدين لي بالمبلغ في حال رفعه قضية حجر.

- أنت مجنون يا حامد... أنت مجنون؟!

- راضيته لأني اتحققت من قدرته على أنه يطوحنا كلنا في داهية وأبونا أول واحد.. أكل الحرام صاحبه يقدر على تنفيذ أخطر وأقذر الخطوات على وجه الأرض يا خفاجي.

- اتت طيب يا حامد، أبونا بَعَّد عننا وأدهم حطنا تحت ضرسه، وأنا الكبير والمهزلة...

- ولا تتكلم معه ممكن ندخل كلنا في مشاكل، وكل واحد مننا يجرجر في دوامة.

- يعني أسكت يا حامد؟!

- أبونا يضره عراكنا مع بعضنا، أنا قلت لك لأنك انت الشاهد على ورقة اتفاقنا بكرة العصر في بيت أدهم.

- مع إنه صعب علي لكن أريحك يا حامد، غَيّر هدومك، واتوضا، وصل ركعتين، وتتعدله أدهم بيه.

وراقب حامدًا إلى أن أغلق باب الحمام على نفسه، وأسرع إلى جوال حامد، وقرأ الأسماء حتى وجد اسم عباس، وسجل رقم هاتف عباس بجواله وأسكن ضوء الجوال كما كان...

وصرف حامد تسعين ألف جنيه من البنك، وفي السيارة استنكرت حفيظته استرضاء أدهم بكل هذا المبلغ، رصيده تناقص حتى خمسة عشر ألفًا، والأدوية والأشعة والتحاليل للمرضى تنهش المال من صاحبها، وكم ستنقص إلى أن يستعيد أباه، وخمسة عشر ألفًا ستنفق على مرض أبيه ثلاثة أشهر مضاهاة بمصاريف علاجه السابقة، والمرض من الأمراض طويلة الأمد، والمواشي التي بحوزتهم ثمنها أربعون ألفًا أو أقل، وخفاجي وأبناؤه يحتاجون إلى نصفها لمعيشتهم، ورفع قضية الحجر عند أدهم أسهل من شربة ماء، ولن ينخزل إلا بالعنف، والعنف يشدهما إلى الفرقة، وفرقتهم صارعها أبوهم بستر جرائرهم واعتل منها.

وأصدر هاتفه تنبيهات استلام رسائل إلى حساب "الواتس آب" من رحاب، إمكانية خطبتها قريبًا باتت بعيدة المنال صعبة المرام، من أين

روايتنا ضوء مغاير / الكاتب علي رشوان

يأتي بالمال الكافي لشراء شبكة؟ "والوحيدة الواقفة معي في البحث عنك يا حاج، أدهم ممكن يبعدها عني"

واستقبلته شادية، وأدهم وخفاجي بالطابق الثاني، اغتنمت الفرصة في التحدث مع حامد.

- أمانة يا حامد، أول شيء تعمله وقت ما الحاج يرجع تترجاه يسامح أدهم، من يوم طرده الحاج من البيت...

تأوه حامد، وأظهر بعينيه كأنه يعلم ما قالته، رجَّح حامد أن طرد أدهم أباه من البيت حجر هوى أدهم به على رأس أبيه مع صدمة خفاجي العنيفة له بعلاقته مع وهيبة، وطأتان متقاربتان ربض بهما المرض على أبيه.

- والمرض والهم والنكد كبشوا فينا، إما عيل من العيال عيان، إما في خناق أنا وهو، والفضيحة... اتفضحنا يا حامد وعينا انكسرت. الحاج عاركه ألف مرة لأجل نستر وفي آخر مرة مع الحاج، كابر وعز عليه إننا نستر.

- بإذن الله أقول له.

وكان خفاجي قد اتفق مع أدهم على تقسيم المبلغ بينهما مناصفة، وأدهم يبتغي بيع قطعة أرض في المستقبل القريب يرفه معيشته منها، ومتخوف من مجابهة حامد له، ومن معاقبتهما على قهره أباهم إذا أعاده وأفصح له عن تعديهما عليه، ويتحكم بهما وينفرد بالأرض، وسيكون مكبلًا بالإقرار، فاشترط على خفاجي تهديد حامد برفع دعوى الحجر بدلًا عنه حين يطلبه منه، وبه يهيمن حامد، وخفاجي حرضه على ألا يكتب الإقرار اليوم، ويتيح له الوقت لإقناع حامد التنازل عن حقه في الإقرار بضمانه أنه لن يقيم دعوى قضائية ضد أبيه أبدًا، الإقرار يخسف

بهيبتهما معًا الأرض إن اِطَّلع عليه أحد، وتأجيله الإقرار كان تجهيزًا لإرباك حامد في اليوم الذى سيقتل القاتل المكترى فيه عباس.

- خل المبلغ معي يا حامد وإقرار أدهم ملزوم مني أنا يا حامد.

- انت معارض تكتب الإقرار يا أدهم؟!

- قلت لك يا حامد الإقرار عندي أنا؟

وخفت حامد صوته.

- وأنا مطاوعك يا خفاجي.

بعجرفة طرد أدهم أباه من داره، وخفاجي بِرضوخِه لنزواته أكأبه وشاركه أدهم في اختلال أبيه وتشريده، ويماطل خفاجي في اتخاذ خطوة تعينه على التخلص من مجرم خائن مدان ابتزهم بتشنيعهم برذيلته، ويتسترون على جريمته بسببه، وأختهم في خطر بسببه، وحق صديقه في معاقبة المجرم مهدور بسببه، ومرض عمتهم في رقبتيهما.

(١٧)
قرار

بذل حامد الأسابيع الماضية مجهودًا فاق تقييمه نفسه في البحث عن أبيه، ليالٍ منها كان بياته نومًا متقطعًا على مقاعد مقاهٍ تداوم الليل، والهموم تحفر الأجساد وتجتز قوتها، أربعة الأيام الماضية تكتَّل عليه الأسى مع إقلاقه والانهاك والسهر فلم تسعفه قدرته على إكمال يومه في البحث عن أبيه، جلس على أعلى درجة من درجات مدخل البيت، لامس إشعار رسائل رحاب، وكانت "أخبارك يا حامد" "طمني عليك" "أنت بقيت مهم عندي ويلزمني أطمن عليك كل دقيقة" والثالثة خالط قراءتها لكمة قاسية على قلبه، تحيَّر حامد، يخبرها بعدم قدرته على الارتباط إلا بعد أعوام مجهولة العدد يدخر خلالها مالًا للزواج أم لا، إن أخبرها لن تتخلى عنه وستمتثل طريقه، ومن المتوقع رفض أهلها القاطع الانتظار ولمهنته أو بسبب سيرة أدهم السيئة التي ذيعت في القرية، والرسالة الأخيرة بداية علاقة عاطفية مباشرة وقوية وأقرب للفشل من النجاح، والاقتراب الشديد

قد يترك لرحاب ذكرى أو إحساسًا يزعجها حتى تتخلص منه، وفي حالة الاقتراب منها سيعاني الابتعاد عنها، بل ربما لا يتراجع عنها، لن يبتعد عنها بإرادته إذا صافاها بشرح ظروفه لها، هو يعرف نفسه، مدركًا لمنزلتها بقلبه المفعم بإحساس لم يعبر عن أجيجه وقوته بعد، وقد يزج رحاب معه في مأزم مذموم العواقب.

"وهل ممكن أتحمل البعد عنها" قالها حامد وأغمض عينيه كأنه ينتظر إجابة من عقله، عقله لا يستطيع تقدير ما سيحل به من فراقها، عملية إحساس نفسية يعجز العقل عن تقديرها، وضع يمناه على صدره، كأنه يطلب ردًّا من قلبه المنغمس في خفقان سريع، القلوب ليست لها حسابات، لكن إشاراتها أدق ما يمكن للعقل حسابه وتقديره "كأنك خفت من البعد عنها يا حامد، ولو أنا قربت؟" احتمال إخفاقه في الارتباط بها أدنى له من نجاحه والرجوع بها من بداية طريق خفي المعالم ومحفوف بالمخاطر أفضل من الاندفاع بها فيه ومشقة خواتيمه، فاقد أبيه المريض، ومتى يعثر عليه؟ وكيف سيعالجه؟ وكم يستغرق؟ وفاقد المال المطلوب للزواج ولا يعلم ولو متى يبدأ في جمعه، قرر فراقًا بلا عودة، فراقًا مبهمًا، بلا توضيح لأسبابه، والنقاش سيزيد للود قضية، وابدأ كتابة رسالته إليها ويده ترتعش، سبابته تتوقف كلما كتب حرفًا أو حرفين، رحاب لن تتركه بعد توضيح الأسباب، وكتب إليها في رسالة واحدة "بخير... أرجو أن علاقتنا لا تتعدى حدود التعارف العادي، ولا نتواصل بدون سبب، كامل احترامي وتقديري لحضرتك، سلام" ثلث الساعة وإبهامه متوجه إلى شارة الإرسال في سكون، متجمدًا، كأن أوامر عقله مجزوعة عن إبهامه، الرسالة ستحزن رحاب، قرار مصيري، رحاب لن

رواية موضوعها الكل عن علي رشوان

تتكرر، مكانتها ليس لها بديلة ولا مثيلة، لامس علامة الإرسال وأغلق هاتفه.

وقْع الرسالة رُدعت رحاب منه، وانزلقت بجسدها من حافة فراشها إلى أرض غرفتها، أرسلت له الرسائل لتشد بها أزره فقاطعها، وبحثت لنفسها عن مخرج "نورا" قد تاتي لها بحل سريع ومِن ثقل نطقها وانقباض حنجرتها من الألم والحيرة والاندهاش، نورا أيقظت أشرف من نومه... افترض أشرف أن مشكلة جديدة في حياة حامد، وجواله وجميع حساباته الإلكترونية مغلقة.

- اتصلي بها يا نورا وقلي لها ساعة وأكلمك.

أزمة مالية وديون ألمَّت بأدهم واستعان به، وأقرضه تسعين ألفًا من ماله لأجل غير مسمَّى، وليس لديه المال الكافي للزواج، وكل دواعي قطع علاقته برحاب بسطها لأشرف، وكلها كانت أوهن من طمس كل منافذ النور حوله برؤية أشرف، وتعجل حامد في اتخاذ قراره صوب رحاب، وواحد من المائة فقط لاحتمال نجاح تحقيق هدف ما كافية للمضي قدمًا في طريق الحصول عليه، حاججه حامد بأن لم تكن احتمالات وقوع الضرر على آخرين مرتفعة وكثيرة، والتفاؤل ليس مسوغًا للمخاطرة بمستقبل آخرين.

وترددت نورا، ماذا ستقول لرحاب؟ وزاد الأمر تعقيدًا تشديد حامد على أشرف منع توصيلها به بمكالمة، وكتمان أسباب قراره عن رحاب، النقاش في المشكلة يزيد الآن من ودّ رحاب له، يفاقم من صعوبة التخلص من مشاعرها له، وتوقيها أزمة أولى لها من مناقشة عديمة الفائدة.

- أقول لها تصبر خمسة أو ستة أيام يمكن حامد يكون يغير رأيه، وأنت تحاول معه، واحدة في مواصفات رحاب خسارة كبيرة، وهي متمسكة به.

- حامد ودّع حياتها، وغرضه أنه يفقدها الأمل فيه وتركز في مستقبلها وما يتسبب لها في أي مشكلة في حياتها.

- إنه يصر على إنهاء علاقتهم بدون توضيح ونقاش، ومحتذر من أن يتسبب لها في مشكلة، وراءه إحساس قوي جدًا ممكن يغلب تفكيره في أقصر وقت.

كلمة (قوي) تارجحت في اذن أشرف، مشي خطوات إلى باب الغرفة، وتساءل في قرارة نفسه، أين حامد؟! أين صديقي القوي؟! أين حامد الذي كان يبادر في الفعل ولا ينتظر أن يكون في محل رد الفعل؟ تفحص في ذاكرته أهم أفعال حامد في الفترة الأخيرة، فأدرك أن حامد جار على نفسه وأبيه لمّا أبعده هو ورجب عن البحث معه عن أبيه، وكان من حقه عليهما أن يطالبهما بالبقاء معه وليس إبعادهما " تورط صديقي في المثالية السلبية، يتنازل عن حقوقه وينسحب من طرق أهدافه بضعف يخادع الإنسان بأنه على قمة الصواب " وتخليه عن رحاب لم يكن أمام أشرف أكثر من فكرة ضعيفة مغلفة بالمثالية جعلت حامد يحجم عن الإقتراب من رحاب، وأنه لم يتحمل مشكلة أبيه في نفسه فاضطنه بدون وعي منه بذلك. وردّ أشرف على نورا :

- حامد مؤكد إحساسه بها، صاحبي وبان لي إنه اتخلص منه، حامد جزء مني وإحساسي به صادق.

ضربت رحاب هاتفها بالأرض وهي قابضة عليه في عصبية وتشققت شاشته، بدون أسباب وبلا سماح لها بالتواصل معه انسحب حامد بهدفها الرفيع وأمنيتها النبيلة، ما استبقى لها من محادثة نورا غموض وبأس، غموض في دواعي انقطاعه عنها ومفرغ من كلمة واحدة تعطيها أمل

الوصال، وبأس خُبِم بحقيقة انتهاء علاقتها بحامد، وأوجاعها من النفس لا من الجسد، وإن يُسكنها الطبيب فلن يزيلها، إزالة السبب ستقتلع أوجاعها من أعماقها، هو فارقها، فهل حق للألم تحطيمها؟ فارقها، هل تستحيل الحياة بعده؟ ليست أول ولن تكون آخر من تُفارَق.

ضعفها يستدرجها إلى الهلاك تحت سطوة مشاعرها، خمول النفس مع اعتلال الجسد جحيم يلتهم الغافلين عنه، أحاطت بعسرتها، الضعف المتغلغل من أحاسيس القلب إن ترفَّق بنا يفتك بدوافع الحياة فينا، ويصهر طموحاتنا فيها، وإن وجد الضعف لنفسه مكانًا في أرواحنا يطردنا منها، فراشها بطيئًا بطيئًا ووقفت على أقدامها، وانطقئت أنفاسها، ونادت أمهما...

- أنا موافقة على خطوبة ابن خالتي.

- عين العقل يا رحاب.

(١٨)
تخلي

كان طلعت ماشيًا بجوار أبيه بين العصر والغروب، وأبوه على حماره يسوق بهائم وغنمًا له ويجر أخرى خلفه، عجّل محمد في عودته بالبهائم إلى البيت، الورم استشرى في يدي صبرية وقدميها، وسيعرضها على طبيب آخر، ورد إلى طلعت اتصال من موظف في المستشفى التي يتداوى فيها من اِلتهاب الكبد الوبائي...

- الحمد لله على شفاء حضرتك.

وكأن طلعت سمعها من مكبر صوت عم بها الأرض حوله، وثب من قوة الفرح، كل حياته ستتغير، فرصة الهجرة إلى دول الخليج أصبحت متاحة بعد ثماني سنوات من الحرمان منها، احتضن أباه، وكاد يسقطه من على حماره لولا تشبث أبيه بقلادة من حبل بعنق حماره، وأبوه حَمد الله فرحًا بشفائه من المرض، وترك طلعت أباه يقيد البهائم في حظيرة البيت وجرى إلى أمه... احتضنته وقبلت جبينه ورأسه وكتفيه؛ حامدة

وشاكرة الله على معافاته من المرض، كان فرح طلعت بقدرته على السفر أعمق من فرحه بصحته من المرض ذاته.

- أنا عارفة إنك فرحان بإن طريق السفر انفتحت قدامك، وإنك بكرة الصبح ممكن تخطي خطوة في السفر.

- أنا فعلًا كلمت محمود أخوي وفرحته، وقال لي إن واحد صحبه كان جهز عقد عمل في مكتب في القاهرة لابن خالته، لكن الظروف منعته من السفر، ودلني على المكتب والعقد، وقال لي اكشف في القاهرة وكن مستعد للسفر مع صدور التأشيرة من السفارة.

- وأنا فرحانة بصحتك وفتح طريق رزق لك، لكن يا ولدي صعب علي وعلى ولد خالك إنك تسافر قبل رجوع خالك.

- أنا لا يمكن أسافر قبل رجوع خالي يا أمي، أنا ممكن أسافر القاهرة أكشف، ومعي شهرين وزيادة قبل السفر، وبإذن الله يكون خالي وسطنا.

- ربنا يحفظك يا ولدي.

وذهبوا إلى الطبيب، وسألهم عن تاريخ ظهور التورم، وعن محاولة العلاج من قبله... وأجرى لها رسم قلب وأشعة تليفزيونية للقلب، وشخص لهم ضعف عضلة القلب بها أدى إلى تورم أطراف يديها وقدميها، وسجل لها أدوية، وأهاب بهم إلى العناية بالدواء ومواعيده، واتقاء الحزن أو التعصب، يضعفان القلب أكثر مما هو عليه، ويقللان فاعلية الأدوية.

وكل ما قاله الطبيب بيَّنه محمد لحامد في اتصال هاتفي، سَيلومه حامد إن أخفى عليه مرضها، وقد يعينها على تخفيف حزنها وضيقها عن فقدانها دسوقي، حامد له فيها دلالة على التأثير، ويعلم محمد مقدار

حبها واصطفائها له، وأمر طلعت بأن يُحضر رجب إليه ويخبره بسجن سراج والدعوى التي رفعها ضده إن كان يريد السعي في السفر قريبًا.

وقدَّر طلعت نفسه بأنه ضئيل الشأن أعمى البصيرة، بدد مال صديقه في جيوب محتالين، وكان محمد يضرب يفرك أصابعه، وضرب ظهر يد بكف الأخرى مرات، وخفض طلعت رأسه، وعمِد رجب إلى كسر الصمت المبهم حوله.

- عبدالغني مختفي من فترة يا طلعت، لا ظاهر ولا متصل ولا رادد علي.

- مرتين وأنا أسأل عنه في بيتهم يقل لي معزوم عند خطيبتي ونعسان، وسماعة التليفون عطلانة.

- هو المدير زعلان منك يا طلعت؟

- زعلي أنا سهل يا ولدى، الخوف عليك أنت تزعل لما أتكلم.

قلق رجب.

- لو عندنا مشكلة قلها لي يا عمي وأنا قدّها...

وبسخرية من محمد:

- سراج صاحب طلعت أفندي يا ولدي مسجون في قضايا نصب.

ضَغطَ الدم على عروق رجب واحمّر وجهه.

- إيه...؟! صحيح... يا طلعت؟!

رفع طلعت رأسه.

- أنا يا حاج أول شيء في سفري ملزم إني أحول إليه المبلغ لو سراج مَكْمَكَ وهو مجبر على إنه يحل مشكلته معنا، إيصال الأمانة الموقع

والباصم عليه، وقضيتي تغوره في داهية، وهو خاف مني واعترف في النيابة إنه مدين لي بالمبلغ، يعني أنا ماسكه من رقبته.

أُنهك رجب وألقى رأسه إلى الخلف، وحدث نفسه "انهدت على دماغك يا رجب"

- حقك تزعل يا ولدى، لكن كل مشكلة ولها حل، وطلعت مدين لك بالمبلغ يا ولدي.

استقام رجب في مقعده.

- طلعت كان غرضه يساعدني يا عمي، وطلعت صاحب وأخ وقيمته كبيرة عندى، وكلمة مشكلة لايمكن يكون لها دور في حياتنا، مشكلتي أنا وهو مع سراج وباعتراف سراج في النيابة طولت أو قصرت حقنا راجعلنا.

- ربنا يدوم المحبة يا ولدى.

وتركهما محمد، وبإفاضة فصل طلعت لرجب كل ما حدث، وفسَّر امتناعه هو وحامد عن إبانة المشكلة له مجانبته همًّا ينزل به على همومه، وانفك وعي رجب وأهمل حديث طلعت مرة تلو مرة، كان همه كيف سيرد مال حامد إليه، وبيع الذهب مرة أخرى كان حلًّا وحيدًا سيفعله إن مَحَلَ حاله، غاب تركيز رجب عن طلعت قال لرجب ثلاث: "أنا عارف إنها مشكلة تزعل يا صاحبي" ومع المرة الأخيرة:

- أنا زعلتني المشكلة لكن أنت يا طلعت أهم من مال الدنيا.

- يبقى ضروري أفرحك.

- فرحني.

- أنت فكرت لما قلت أول سفري أحول لك المبلغ؟

- العلاج عمل نتيجة؟

عانقه رجب.

- ربنا ما يحرمك من الصحة والعافية يا صاحبي.

- فرجت... فُرِجت يا صاحبي، خلاص... أخيرًا... أخيرًا الدنيا وسعت على يا صاحبي.

طرق حامد الباب ونادى... كانت أحلام تناول عمتها الدواء والماء بعد أن حقنتها، رؤيتها وقلبها مريض كانت الوطأة التي ثغرت قمة حِلم حامد بخفاجي وأدهم، لو أنهما أمامه الآن لَانفعل عليهما وأنبهما في قسوة على ما آلت به خطاياهما، بلغ الأمر حد صبره، والمخاطر تحيق بأبيه وأخته وعمته ولا أحد منهما أخذ بعين الاعتبار ما يحدث لأبيه وعمته، جمعت أحلام فوارغ الحقن والمحاقن، صافح عمته:

- شد حيلك يا عمتي وارمي حملك على الله، الحزن لا حالل ولا مقربنا من الحاج، وتعبك ما هو عامل شيء غير يزود وجعنا بغياب الحاج، قوي قلبك وأنصبي روحك، غيابه ومرضك سببه حمل كبير عليّ، انتِ ضروري تكوني متعافية لمّا أبوي يرجع، لو شافك تعبانة مرضه ما هو خافف. أنت أقوى من المشكلة يا عمتي، ولا يصح تكوني سبب زيادتها. كفاية مرته، دموعها صبح عشية قربت تعميها.

- صعب علي زعلك أنت وأبوك يا ولدي، وأوعدك من اليوم كل شيء يتحسن، شفاء طلعت كان له أثر حلو يا ولدي في إني أملك نفسي أحسن وأحسن.

- حقيقي... يا طلعت؟

- صحيح... يا حامد.

- مليون بركة يا طلعت...

رواية ضفاف الكاتب علي رشوان

- ربنا يبارك فيك يا حامد.

- ألف بركة يا طلعت.

- تسلمي يا أحلام.

على عتبة باب البيت أحلام أسرَّتْ لحامد بنوبات الرعب من تشنيع عباس بهم ومن إجرامه تطاردها في النوم واليقظة، وعدها بمحو المشكلة في القريب العاجل، وبطء خفاجي يشي فيه غير ذلك.

- وجاسر حجز تذكرة في آخر الشهر.

- إياكِ تزعلي... أهم شيء هو يكون بخير.

وقبل دخول حامد المضيفة همس طلعت إليه بعلم رجب بسجن سراج من والده...

- مبلغي كأنه معي يا رجب، لما سراج يرده إليك أعطيه لي.

- أمانة يا حامد لو اِحتاجت إليه تقول لي في لحظتها.

- يا رجب... يا رجب اكبر.

وظلَّ حامد مع عمته إلى منتصف الليل، وطلبت منه بيات الليلة عندهم...حامد وطلعت من طعام أعده محمد فوق المائدة وغطاه بعدما غرف منه عشاء صبرية، ونام حامد على سريرٍ موازٍ فراش طلعت، وطلعت كان في فراشه بين ماذا لو أنهى كل إجراءات سفره وقربت التأشيرة الانتهاء "وإن قعدت يا ترى غيابك عننا مطول كم يوم أو كم شهر أو كم سنة يا خالي، وحياتي تتعطل بسببك، أكيد مسامحني يا خالي لو سافرت أكوِّن مستقبلي" ونظر إلى حامد، كيف سيتركه يبحث عن أبيه وحيدًا، وماذا لو بقي معه ودام تيهان خاله "نتعب ومستقبلي يضيع هَدَر، لو مشكلتك ما هي مشكلة وقت يا صاحبي ما أقصر معك أبدًا انت وخالي"

وإن انتظر إلى الأيام الأخيرة من صلاحية تأشيرة سفره وسافر وخاله متغيب تتساوى عند الجميع مع سفره في أوائل أيام اِستخراجها في تقييمه، وشهران يمضيان هباءً "أسافر بدري أحسن، وأقول لأمي الكفيل مستعجلني"

(١٩)

دم

في ذات الليلة غصب خفاجي حلقومه على لُقم يخفي بها اِلتهاءه عن إنعام ومحاسن، ليس بإمكانهما قراءة عقله، رعبه من انفضاح خطيئته مع وهيبة وخطة جريمته لهما ما زجره عن الطعام، مُقترف الرذيلة يباغته عري نفسه دائمًا، وهواجس المجرمين تهول عليه برفَّة عين منه في زحام بغرباء عنه. مسح شفتيه بظهر يده، وقام إلى غرفة نومه، هُنا خادع نفسه على كونها ليلته القادمة مع وهيبة هي الأخيرة، واستلذ أعضاءها وقوامها المتناغم ولمساتها الحانية ونظراتها الراضية، وتقزز من ضعف إرادته، إن كان اليوم عاجزًا عن إخضاع نفسه لقطيعة علاقته المعيبة مع وهيبة بعد قضاء ليلة معها، فمتى يقدر على فعلها، حرض على القتل وبجزء من ماله، وتعلقت الفضيحة بكتفيه والعار بصدره وما زال مسلوب الإرادة منقادًا لما تشتهيه نفسه، تأوه لعجزه واستخف بنفسه، يتوجع لنفسه من نفسه، تبرم وبصق، وبصق وتبرم، عاجله إثمه بوطأة العلاقة على أبيه، وعصر

رواية ضوء مغاير الكامل على رشا

أضلعه بين لحظات تعديه على أبيه من رضوخه لتمتعه بها ليالي ما، وبين هلاوس أبيه وهو طريح الفراش بالسبب ذاته "كنت أضعف من إنك تتحمل حكاية بسيطة يا حاج" المجرم المتعال يَلوذ بالفرار من إثمه في قاع بئر عميقة خربة، أثقل الإثم على صدره باختفاء أبيه وتحريضه على القتل "عباس تراب الجزم أعيش مذلول له! مشكلتي وأحلها في كل هدوء، انت كبرت الحكاية يا حاج" وخطورة إثمه حقيقة متجسدة في يقينه خادعها واخترع لنفسه مشكلة يخادعها بها "أنا في مشكلة ولازم أنهيها" يفر من سطوة ألم إثمه ويحصن غلظة قلبه، بدونها يستولي الإثم على عقله وجسده وتخور قواه "أزمة وتمر على خير" وأخذ عشرين ألف جنيه من مبلغ مالي في دولابه يؤجر بها شاهين لقتل عباس ويعطيه رقم جوال عباس كما اتفقا عليه.

وكان سبب قتل عباس المعلن من خفاجي لشاهين سطو عباس على صديق له في بيته وانتهاب أمواله وقتل جنينه، واختط شاهين خطة يستدرج فيها عباسًا إليه بمكالمة تهديد ويقتله، أعجب خفاجي بها وأيدها، وإطالة الوقت قد ينفضح فيها سره من عباس، وتندلع العداوة بينه وبين الجزراوية، وتوطأ وجاهته وشموخه بالأقدام، وتنكسر عينه بخيال أهله وأقاربه وكل من يعرفه، مضاف إليها بغيته قضاء ليلة مع وهيبة، والتشبع من كل ما يشتهي منها، فحمس شاهين بما يزيد عن المبلغ المتبقي له إذا قتل عباسًا الليلة أو غدًا.

ومن خط جوال هوية حامله ليست معلومة اتصل شاهين بعباس، عباس يتحذر من الاتصالات كلها، فتح الاتصال مع شاهين وأنصت.

- عباس معي؟

رواية خضوع الكلب لفقاع الكلب علي رشوان

- من انت؟

- واحد عباس له طلب ضروري عنده.

- أنا عباس، من انت؟

- واحد داريان بسرقتك بيت أشرف، وإما نقسم بينا الهبرة الهابرها، إما أبلغ الشرطة أو أقول لأشرف... والدليل إنك مصاب في رجلك برصاصة من أشرف.

ارتعش عباس من الخوف واستشراه الغضب.

- كدّاب...من معي.

- انت تعرفني... ويزداد التعارف بعد أربع ساعات وانت معك من الآلاف المكوش عليها خمسين لي، وطيّر من راسك فكرة إني أكون شرطة، لأني لو شرطة أوصل لّك بسهولة ما دام خطك مفتوح، طلبي أو السجن والفضيحة من نصيبك الفجر.

شك عباس في أن أحلام كشفت عن سرقته أشرف لحامد، وحامد يكايده بالمتصل لاسترداد ثمن الذهب منه لأشرف.

- لو واحد سلطك علي، ممكن ينفضحوا على يدي فضيحة كبيرة، ويسأل أخته...

- تسليط وفضيحة! معك الوقت، قلّ بها في مخك وكلمني...

- نتقابل كيف؟

وحتم شاهين على عباس التواصل معه من خط محموله الحالي فقط لا غيره، ويأتي بمفرده، ويكون لقاؤهما ليلًا في طريق متفرع من طريق قريته وبندر مدينه ديروط، ومنه توقع عباس أن مهدده رجل من أهل قريته، فشل عباس في تشكيل حيلة يهرب بها من كارثته، أُعيق عقلة عن تنظيم

الأفكار، كتم عن ضبيعي وروني ما وقع من أحلام ووعيده لها، وتحفّظ بمكانته بينهما، لو يضمن النجاة من تهمة قتل مهدده لقتله، قد يكون شخص ما على دراية بلقاء مهدده به، وقد يكون مع مهدده مراقب للقائهما، ومكالماتهما ستستمر حتى وقت المقابلة وتصنفه كمتهم أول بقتله إذا قتله، اليوم لا مفر من الاستعانة بضبيعي وروني، ساعاتين ويحين موعد المقابلة.

تهديد شاهين كأنه جني نزَقَ بهما عزَّلًا على حين غرة في نقطة متجحمة بحرب ضارية، وأخفى عنهما تبيُّن أحلام سرقته أشرف، ساعة ثم حبَّك ضبيعي حيلة، فيها يتطرق عباس في حديثه مع المهدد إلى ما هدده به في بداية المقابلة، ويسجل حديثهما معًا على هاتفه المحمول، ويتوعده عباس بالانفضاح وتهمة التستر على مجرم والارتشاء إن كشف سره، ويتقلد عباس بحقيبة كتف صغيرة يموه بها على مهدده حيازة المبلغ المالي، ويحتاط لنفسه بمسدس يستخدمه إذا هاجمه المهدد.

أعد عباس هاتفه في الحقيبة فوق مسدسه لتسجيل الصوت قبل مكان المقابلة بأمتار، كان شاهين وراء جزع شجرة تحتها ظلام حالك، مرتديًا قفازًا وبيديه مسدس وخنجر مشحوذ، وجرى إلى عباس قبل نزوله من فوق دراجته النارية أو يُعدل حامِلُها.

- الفلوس... يا عباس؟

- الفلوس معي، لكن تعاهدني على الستر وتقل لي من أنت.

انتضى شاهين خنجره من الجيب الخلفي لبنطالة، وطعن به عباسًا بجانب بطنه حتى المقبض، ومعها كمم فم عباس بيده الأخرى، تلوّت كل قطعة من عباس وهو يتمايل في كل اتجاه في صرع من الألم، فضغط

روايات ضوء مغاير للكتب عن علي رشوان

شاهين على الخنجر لأسفل فشق باطن عباس حتى عظمة وسطه، فحملق عباس عينيه إلى السماء مع صرخة مكتومة تحت يد شاهين، وانتزع شاهين خنجره ضاغطًا عليه ضغطة أوقفته على أطراف قدمه، فقطع الخنجر في عظم عباس، وتشنج عباس وارتعد، فحناه شاهين إلى الخلف، ثواني وتراخى جسد عباس، وثبت ظهره في مقعد دراجته، ولقف شاهين مسدس عباس وهاتفه من الحقيبه، وتحشرج عباس وسمع شاهين غرغرته، وطعن عباس في قلبه وترك الخنجر فيه، وجرى في طريق عودته وطُرح عباس والدراجة أرضًا، وأفرغ جرحه جزءًا من أمعائه.

ومع شروق الصباح رآه رجل كان في طريقه إلى أرضه... انكفأ مذعورًا إلى القرية، وأبلغ عمًّا من أعمام عباس بحاله ومكانه... انتشرت في شوارع القرية صرخات أم عباس وكثيرات من ذوات قرابة منه وهن يجرين إليه، صرخة إحداهن أرجفت حامدًا وطلعت ومحمد هُرِعا إلى الشارع... فجعوا بواقعة مقتله من ابن عم له كان يجري إلى مكان جثته، شبك حامد أصابعه فوق رأسه "مصيبة لو كان خفاجي القاتل" تحدث بها نفسه وقام ومشى مع طلعت ومحمد وهما يتساءلان: من يكون القاتل؟ وما السبب؟ كان حامد في وادٍ وهما في آخر.

أمه بجانب جثته تصرخ وتبكي وتلطخ رأسها بالطين المخلوط بدمائه، وأبوه بجوارها يتأوه ويئن ودموعه تذرف على كتفيه من رجرجة رأسه يمينًا ويسارًا وناظرًا إلى جثة عباس المتمددة أمامه كأنه يسأله: "إيه عملته ودمرك تدميرة عذاب يا ولدي" ومحتشد حولهم أقرباء وقرائب لهما، وعج الطريق بأفواج من أهل القرية، فيهم أشرف ورجب ثم

رواية ضوء مغاير/ الكاتب علي رستوان

عبدالغني... انتبه عبدالغني أنه قريب من حامد وطلعت وأشرف ورجب فابتعد عن المكان.

وخشية حامد من أن يكون خفاجي قاتل عباس كانت كل همه، وسحب نفسه إلى القرية، كان خفاجى في طرقة البيت المؤدية إلى الحظيرة تتناوب عليه ارتعاشات شاقة من أن تستدل الشرطة على شاهين تمالك ظاهره حتى لا يرتاب به حامد المُقدِم عليه في غضب.

- عباس مقتول ومرم في الطريق يا خفاجي.

- كلب غدر باليد الممدودة إليه، سرق صاحبه وقتل ابنه، نهايته عقاب له يا حامد.

- نفسي إنك تكون بريء من قتله يا خفاجي.

وبلوم من خفاجي: قصدك إيه يا حامد؟!

رفع حامد صوته: انت فاهمني يا خفاجي.

- صوتك يا حامد الناس تسمعنا... ولو قاصد إن لي يد في قتله انت غلطان يا حامد أنا حقيقي كنت غضبان من تهديده لكن أقتل... أقتل يا حامد! يمكن المشاركين له في جريمته لما انكشف قتلوه.

- كان نفسي أصدقك.

- انت ظالمني، كفاك يا حامد... أنت ممكن تخرب بيتى!

فقدان حامد ثقته في خفاجي حصيلة علاقته مع وهيبة، وتسويفه خطوة التقدم للزواج بها كحل سريع وآمن لمشكلتهم مع عباس، والأدهى وأمَرُّ تفريطه في أبيه الغائب في محنته، كانت كلها مجلبة تَضخم شك حامد به، وكثرة الكلام مع خفاجي ثرثرة، إن كان خفاجي قاتل عباس، فسيدفن سره في قرار الأرض.

وطرقات قوية بنداء مبحوح من أحلام رأفت بخفاجي من مواجهة حامد، يكذبه بصراحة ويجرمه، وردوده على حامد تكشف غضب حامد عليه، وكأنها اعترافات إلى حامد ما هي نفي، نفيه الجريمة عن نفسه أمِنت به أحلام عليه من الاتهام وعقاب القانون، وكثرة خوف الضحية يروق قبلها بمصيبة الجاني، وإن كان خفاجي قتله وما دليل عليه، فقد حماهم ورحمهم كما قالت لحامد.

وكان أشرف ورجب وطلعت ظهرًا مع حامد بمضيفة بيته ينتظرون إحضار جثة عباس من مستشفي المدينة العام والمشاركة في مراسم الدفن، يتساءلون: هل كان عباس في القاهرة حقًّا أم كذب عليهم؟ وأين كان؟ وهل قتل بدفاع آخر عن نفسه منه أم ترصده شخص ما وقتله؟ واستبعد أشرف قتله بدافع السرقة، اللصوص يتصيدون من يملك المال أو الذهب، والطعنتان به تدلان على إصرار القاتل على إزهاق حياة عباس.

سمعوا آلة تنبيه سيارة شرطة عند ناصية الشارع وصمتوا، وحامد أقرب مطلوب لرجال الشرطة عند دخولهم القرية فاتجهوا إليه، ظن حامد أن خفاجي القاتل واستدلت الشرطة عليه فارتجف، واستسلم بظنه عند توقف رجل من أفراد الشرطة بباب البيت، وحرَقَّه الحزن على بيت أبيه، ابن من أبنائه مرتشٍ فُضح ونهب أخاه، وآخر قاتل وزانٍ سيفضح، وخفير شرطة من خفراء القرية صوته علا إلى خفاجي وهو يقول: "هو البيت" كان خفاجي متوركًا يشاهد التلفزيون في صالة شقته، انزلقت سيجارة من فمه ومن بين إصبعيه على جلبابه، نظرت إنعام من الشرفة...

- الحكومة في بيتنا يا خفاجي.

رواية ضوء مغاير/ الكتب عن رشوان

فرت أعصابه وزاغ بصره، وعادت إليه إنعام بطلب ضابط التحقيق سماع أقوال حامد وأصدقائه في مقتل عباس، وزعقت به أنعام:

- فز... قوم اِلحق حامد.

وكأنه أصيب بشلل كلي، فعاودت الزعق به، ورأت نارًا من سيجارته تخرق جلبابه بين طيتين من طياته فقذفتها عنه وهزت كتفيه... قام إلى الشرفة يشاهد ما يجري، تحفَّظ رجال الشرطة على هواتف حامد وأشرف وطلعت ورجب ينقصهم عبدالغني... انطلقوا إلى بيته... أركبوه السيارة ونكس رأسه بين يديه من عيني أشرف قبل نظره إليه، أشرف معه سر مقاطعتهم، ولم يسأل عن أشرف مِن قبل يوم حادثة السرقة، وأشرف كان ملهيًّا عنه في مقتل عباس، وفي مركز الشرطة وقف الأربعة خارج باب مكتب ضابط التحقيق إلى جوار والد عباس وابتعد هو عنهم قليلًا.

وجمع ضابط التحقيق هواتفهم، وأمر زملاء له بتفحص الهواتف، عثورهم على معلومة عن الخط الذي ورد في تقرير شركة الاتصالات إجراؤه مكالمات مع عباس أمس في الساعة السابقة لقتله يدلهم على الجاني بسرعة وسهولة، سألهم ضابط التحقيق فرادى، ما الذي يعرفه عن عباس؟ ومع من رآه في المرة الأخيرة؟ ومتى؟ وأين؟ وماذا؟ قال له عباس في آخر مقابلة لهما معًا، وهل يعرف من أصاب عباس في ساقه أو أين أو كيف؟! أين كان يذهب في أيامه الأخيرة؟ هل إلى الأماكن التي كانت مفضلة له؟ هل وقعت خصومة بين عباس وشخص ما؟ هل ساند عباس أحدًا في مشكلة ضد آخر؟ وغيرها من الأسئلة التي استهدف بها ضابط التحقيق الحصول على معلومة منهم تفتح له طريقًا يتحرى فيها عن القاتل، وكانت رسالة عباس إلى حامد بأنه سافر إلى القاهرة آخر تواصل لهما معًا،

رواية ضفائر الكتان / علي رشوان

وتجاهل حامد كل شيء يليها في حديث ضابط التحقيق معه، البوح بأي سر مما يكتمه يسوغ اتهامه وأحلام بقتل عباس، وسمح لهم ضابط التحقيق بمغادرة مركز الشرطة... توقفوا برصيف الطريق.

- أنا رنيت كذا مرة في الليل والصبح يا عبدالغني.

- كنت مشغول يا طلعت، أستأذنكم لأني مستعجل.

وأشار عبدالغني إلى (التوكتوك) وركب فيه وأهمل حديث طلعت وهو يسأله: "إنشغال خير؟"

وتكلم حامد ليصرف حرج طلعت.

- بينا كلنا قبل ما أهالينا يتقاطروا من البلد.

- أكيد معذور يا حامد، يجري وحده! وأرن ليل صبح ولا يسأل عني.

- قلت لك معذور يا طلعت، بينا ياجماعة...

وأشفق أشرف على عبدالغني لو أن ما فيه جموح غل يضمره لِحامد وبه يقاطعهم كافة، وتكون صداقته لهم فسدت وانمحت مصداقيتها وروابطها؛ الصداقة ركن من أركان الحياة السوية، وكل إنسان عاقل ناضج يبحث لنفسه عن صديق مخلص "يخسر أربعة! اجنن عبدالغني؟!" الغل أجن الجنون، المغلول يَضرم النار في نفسه ويرضى بها وهي تأكله.

وسألهم رجب: هو عباس إنصاب برصاصة ورفض يقول لنا بسبب إيه؟!

وأجابه طلعت: الله أعلم يا رجب.

وتذكر أشرف أن أول يوم اختفى فيه عباس هو يوم السطو على منزله، شك في أن رصاصة منه أصابت عباس، وأكن شكه، أصدقاؤه قد يعدونه متحاملًا عليه بعد موته، ولو تلفظ به لغيرهم قد يتهم بقتل عباس.

وانتشر في القرية إصابة عباس برصاصة في حادثة غامضة، واختفى، وداوى جرحه في الأيام الماضية وثبطت عزيمة أكثرية أهل القرية عن تشييع جنازته ما عدا أفراد عائلته، كانوا يترقبون وصول جثته، ويرغبون في الإسراع إلى مواراتها في مقرها الأخير، يخجلون من تساؤلات الناس عن إصابته واختفائه قبل مقتله، إدانته متلبسًا وسجنه بجريمته هون على الناس اتهامه بإرتكاب جريمة أصيب أثناءها واختبأ منهم ومن الشرطة يداوي جرحه، وتعقبه من أصابه وقتله، أو حاول سرقة أحد من أهل القرية فقتله.

وبين الرابعة والخامسة عصرًا قدمت سيارة إسعاف إلى القرية تحمل جثة عباس وبجانبه أبوه وثلاثة رجال من عائلته... غسل وكفن، وكان مشيعو جنازته أقل عدد تشهده جنازة في القرية، وحامد وأشرف وطلعت ورجب كانوا منهم، وأدخلوا جثمانه قبره تحدقه نظرات تقزز وغضب من أهل عائلته وروني، ولولا الملامة وتحرز الشك فيه مشاركة عباس جرائمه ما شهد روني دفن جثته، ظنه أن حماقة عباس في مقابلته مع المهدد هي التي أودت بحياته، وهي التي تكويه بنار الرعب من أن يكون القاتل أشرف أو أحدًا من أهله، وعلم منه أنه شريك له في سرقة أشرف وستدور عليه دائرة القتل في أي لحظة ومن حيث لا يدري، ولم يتدافع عدد من المشيعين إلى من يظفر معاونة التربي في الدفن كالمعتاد عليه أهل القرية. ألحده التربي وردموا باب قبره، ورجل من عائلته رفع يده للمشيعين "شكر الله سعيكم" وانفضوا إلى السيارات، واقترب حامد من أشرف:

- محتاج إليك في كلمتين على إنفراد يا أشرف.

- تحت أمرك يا صاحبي.

- نقعد ونتكلم.

رواية صوت الكمان/ علي رشوان

- نقعد في بيتي، وجب تتغدي معي يا حامد.

يثق حامد تمام الثقة بأن أشرف سيسامحه وسيتغاضى عن الاطلاع على أسباب سكوته، ومع هذا خشية في حامد، خشية توقير أشرف عنده، وأول مرة سيحتفظ لنفسه بأسرار متعلقة بأمر خاص بهما، أسرار كانت أسباب ضياع حق أشرف في الانتقام من عباس، خدعه وخانه وأرهب زوجته وأصابها، وأفقدهما ابنهما، وسرقهما، وارتمى أشرف على أريكة بمضيفته وثبت حامد واقفًا.

- اقعد يا حامد.

- القعود بعد المسامحة.

وثب أشرف متسائلًا عن السبب الذي دفع حامدًا إلى طلبها منه للمرة الأولى، وما نوع الخطأ الذي ارتكبه حامد بحقه، حامد دائمًا محافظ على ألا تشوب صداقتهما شائبة.

- مسامحة؟! أيًا كان مسامحك يا حامد، اقعد.

- تسامحني من غير سؤال عن السبب يا أشرف.

- مسامحك يا حامد من غير قول كلمة واحدة ومهما يكن نقعد وتأمرني وعينك قوية، أنت تملك في رقبتي يا حامد.

- ذنبي في حقك يا أشرف أني عرفت من سرقك وسقط مرتك وسكت.

- من هو يا حامد؟!

- عباس... عباس يا أشرف اندس وسطنا وسرقنا.

- أنا شكيت إنه ممكن يكون هو واحد من الحرامية، لأنه اختفى من يوم السرقة، عديم الشرف خان العيش والملح وإخلاصنا له. عرفت كيف يا حامد؟!

- سامحني يا صاحبي... التفاصيل كلها خصوصية وحساسة.

زمجر أشرف من عبدالغني في نفسه "من الأول وأنت مهموم من عباس يا عبدالغني، يمكن لو دققت معه كنت حليت مشاكل كبيرة بدل غيظك المبخوس من حامد" وأسكن يده على كتف حامد.

- مسامحك يا حامد... مسامحك لأني مقدر إن أسباب كبيرة ويمكن خطيرة اضطرتك تسكت يا صاحبي، وربنا يقويك عليها. اقفل عليها، سيرة معفنة، والغدوة لحوم وطالبة روقان بال.

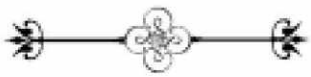

(الأخير)
ظهور

من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة كان حامد يبحث عن أبيه في كل شارع وزقاق، لا يكل ولا يمل، الأيام مهما كثرت ستقل، والطريق مهما طال سيقصر، والتعب مهما اشتد وامتد سيزول لحظة عثوره على أبيه، طاغٍ عليه هاجس قبض الشرطة على خفاجي متى استدلت عليه، والشيء الوحيد الذي كان يبدي به اهتمامًا دونها خلال ثلاثة أسابيع إقرار أدهم، مرتين ذكَّر خفاجي بالإقرار، في الأولى كذب عليه خفاجي بأنه يحاول استرداد المبلغ المالي من أدهم ومنعه عن رفع القضية بالود والإقناع والصبر، لكنه طمّع أدهم في طلب مبلغ ثانٍ من حامد يتفادى به شك حامد فيه باستغلال الظروف وأخذ ماله منه دون الحاجة له به، وأغوى أدهم بإعطاء أبيهم لحامد بمبلغ كثير يوم خطبته، وفي الثانية فضّل خفاجي كذبة تركه أدهم أيامًا لعله يعقل أفعاله ويرد المال ويصد نفسه عن إقامة دعوى الحجر على أبيه، كان خفاجي في المرتين يحيد بحامد

عن ريبته به في قتل عباس، وفي المرة الثالثة استمسك حامد بأن يأتي إليه خفاجي بالإقرار من أدهم الليلة، آكل الحرام قد يفعل أي فعل في أي وقت وفي أي مكان ومع أي شخص كان، كانت كلمات أبيه إليه كلما حلَّت عليه شكوى أحد من أدهم، الآن ساعة خفاجي المناسبة لطلب أدهم منه خمسة آلاف جنيه قبل كتابة الإقرار... نشب على حامد غضب لم يرَ خفاجي حامدًا في مثله قطّ، وعدا خلف حامد إلى بيت أدهم... فتح أدهم باب بيته، فسحبه حامد من يده بعنف إلى الداخل.

- هو أنا حسابك في البنك؟ كل ما تحب تصرف منه...تصرف.

- أنا فطسان من الديون، ونصيبي في الأرض عشرين ضعف مبلغك يا حامد، أبوي بيته عمران بالخير يا حامد.

وأفلت أدهم يده من يد حامد.

- أبوك...؟! هو أبوك في الأملاك وفي غيرها ولا تعرفه؟! هو كان أبوك لما طردته من بيتك البانيه لك بعرقه وماله؟! هو كان أبوك لما نسيته بعد ما ضاع مننا مريض بسببك؟! من حق لك نصيب وأبوك حي؟

خَدِرت يد أدهم من قبضة حامد على معصمه، رُوع من نزول ضراوة حامد به وحده، واستطير لبه، وتفريق هياج حامد وسيلة ينجي بها نفسه منه فنظر أدهم إلى خفاجي.

- هو عطاك كل ماله، وأنت موسع على نفسك، وأنا أغور في السجن يا حامد؟

استوعب حامد أن خفاجي قائل لأدهم كذبة المال.

- هو سألني يا حامد عن مال الحاج، قلت له ممكن يكون عطاه لك في بداية أيام علاجه. ومهما حصل كلنا إخوة وكله فان.

- حتى أنت جُرت علي معه يا خفاجي.

- انت فاهم غلط يا حامد.

- أنا فهمت صح، وصح الصح، بليتم أبوكم بالمرض من أعمالكم القذرة، طيرتم عقله وإرتاحتم منه لما هج من البيت، وعملتم كل ما يهوى لكم، ولطختونا ولطختم سمعتنا وشرفنا بالفضح والعار، وانسعرتم على أبوكم وعلي وغرضكم تمصوا دمنا وتاكلو لحمنا لأجل ترضو طمعكم ونزواتكم، وغرضي قبل نفاد صبري تعقلو وتحسبوها صح، وتشوفوا إن أعمالكم حجم ضررها وتاثيرها على أبونا وعليّ أنا مقدار فظاعته اتخطى كل الحدود، وهدوئي الفترة الماضية كان لأجل أبوي ولأجل نعيش من غير بهدلة، وعقلكم في رأسكم تعرفوا خلاصكم، لأني قرفت منكم ومن عملاتكم السودة.

- إخوتك قرف يا حامد؟!

- تعملوا كل شيء غلط يا خفاجي، يا كبيرنا بعد الحاج، ومنتظرين أدللكم وأعاملكم بالحسنى، ولو اتكلمت أكون أنا الغلطان، كلمة مني حاسبينها جور عليكم، حاسبين نفوسكم أكبر وأحسن وأفضل بأي صفة وبأي فعل؟! شايفين مصايبكم الحقيرة قدامكم كأنها لعبة، ومسكرين نفسكم بإنكم رجالة كبار أبرياء من حقكم تملكوا أهلكم وتلعبو بهم، لو إستمريتم في طريقكم ما تلوموا غير نفوسكم.

وخرج حامد، وخفاجي أمر أدهم بكتابة الإقرار الآن، رفض أدهم، وليفعل حامد ما بوسعه، عارضه وأمره بكيل الموقف بميكاله ولا يخطيء التقدير فيفقدا زمام الأمور، وتورطهما في مواجهة مع حامد الآن خطأ لن يغفراه لنفسيهما، خاسران قبل احتدام المواجهة، حامد في غضب غير

مسبوق له، وسيتصدى لهما بكل ما يستطيع من قوة وتحدٍ وحجج تعيرهما، ويا للكارثة لو علم حامد ما حدث في لقائهما الأخير مع أبيهم، كسر الحاجز الآن وسينسف كل الحدود في مواجهتهما معه، وسيكسرهم بإقناع كل من حولهم بمسؤليتهما عن مرض أبيهم والمكر به بعد غيابه، وسيصطف الجميع معه، ولن يجرأ أدهم على إقامة دعوى الحجر، وسيسترد حامد ماله منه، سيعده الناس كبيرهم ويستهينون بهما، ويتطاولون عليه إذا طلب منهم رشوة أو عطّل إجراء لهم أو أضرهم بمضرة ما.

كان أدهم يكتب الإقرار وعينا خفاجي تقول له في ابتسامة مجروحة نطاطيء حتى تمضي فورته بسلام، وكلما كتب أدهم جملة هز رأسه وامتعاضه يقولان يجب أن نكون من فوق حامد وإن أخطأنا، وتكون لدينا حرية فعل ما نريد، كيف... كيف سنعيش إذا ظل حامد على حاله؟ ماذا سنفعل معه؟ متى ينتهي ضغطه علينا؟

- كل مشكلة ولها حل.

قالها خفاجي لأدهم مع توقيع أدهم على الإقرار... سلم خفاجي الإقرار لسكينة لتوصيله إلى حامد وهي تحضر كوبي شاي لحامد وجاسر وهما جالسين في المضيفة...

كان باديًا على جاسر معاناة الغربة وخيبة الرحلة ومشقة السفر، واقتضب رحلته لحامد، بدأت بتشغيل كفيله له ما يزيد عن ست عشرة ساعة يوميًّا وفي أعمال غير مهنته النقاشة، وتحميله تكاليف مسكنه والتعاقد يلزم بها الكفيل، واقتطع جزءًا من راتبه، ومع كل ما سبق من منغصات يومية لا داعي لها، استخرج له تأشيرة خروج نهائي من الدولة،

وأجبرته ديون الرحلة على بيع اثنين من أربعة قراريط أرض يمتلكها ورثها عن والده.

- أسيبك تنام، والصبح نكون مع بعض بإذن الله.

- الصبح معي مشوار عمتي، انتظرني أكلمك.

- معك من الفجر يا حامد، سلام.

مدَّ حامد الإقرار، وقرأه، واختنقت أنفاسه، وصعد إلى سطح المنزل، الهواء الطلق قد يساعده على تفتيت غضبه أو تهدئته، أدهم وخفاجي كانا يستحقان عقابًا أغلظ من لومه عليهما، فعلا كل ما حلا لهما وأضاعا أباهما، وتآمرا عليه، ولا تلوح منهما إلماعة اِستقامة، أبوهما ضائع وهما يستغلان ضياعه في تحقيق رغباتهما، إن كان الجحود يستوطن في الصدور المتعالية، فقد أصاب في اختيارهما "إن شعرت بعوجهم لأعاقبهم عقاب مُسوَد "

في الثامنة صباحًا كان حامد وأشرف وجاسر ومحمد وإحدى بناته وابن عم له وصبرية في استراحة استقبال مستشفي القلب بجامعة أسيوط منتظرين تحديد غرفة صبرية بالمستشفى، وطلعت في القاهرة ينهي إجرءات سفره إلى دولة خليجية ومن كتابة الطبيب التحويل ظهر أمس إلى الآن يتصل بأبيه كل أقل من نصف الساعة، والطبيب المعالج لصبرية أحالها إلى المستشفى وإقامتها بها، حالتها تسوء، وعلاجها باهظ الثمن بالمستشفيات الخاصة.

وأضاءت شاشة جوال حامد باتصال من رحاب، وقبل إطلاق الجوال رنينه حجّم حامد عقله عن التفكير في سبب اتصالها، واستجاب لاتصالها، وتحدثت إليه في سرعة.

- أبوك في قرية الحرادنة في القوصية.

انتهض حامد من قعوده وهي تقول:

- واحدة صاحبتي كانت شاركت صورته من حسابي.

جري حامد إلى باب الاستراحة وهي تتحدث إليه:

- أبوها شافه وهو خارج لشغله وصوره، وهي صورته.

أشرف ومحمد وابنته وابن عمه وجاسر وقفوا قلقين.

ونادت إليه صبرية بشدة:

- حامد...

من سرعته اختل توازنه وأوشك أن ينكفئ حتى الأرض وهو يتوقف.

- واحد شاف أبوي حالًا في القوصية.

وجرى إلى خارج المستشفى، وجرى أشرف وجاسر خلفه، وأخرج محمد مبلغًا ماليًّا من جيبه وألقاه إلى ابنته، وجريا وابن عمه خلفهم، وحامد ارتجى رحاب جعل والد صديقتها يوقف أباه أو يتتبعه إلى أن يصل إليهما.

وقدّرت رحاب تأثير ذهابها إلى مروة وخروجهما معًا إلى شوارع القرية يبحثان عن دسوقي في شوارع القرية، سيتعاطف معهما كثيرون ويهتمون بالأمر ويدركون قصدهما ويشاركونهما البحث عن دسوقي، وحارت في ارتداع نفسها عن مساعدة حامد على الوصول إلى أبيه، سيظل حامد داخلها عقدة غير منفكة ما دامت تمنع نفسها من الاقتراب منه، ويستنفر مشاعرها إذا ذكر اسمه ولو على غيره، أو ذكرت كلمة عن قريته أو عن الأبوة أو عن الحب، وقد تكون مشاعره لها كائنة ويأمل الارتباط بها، وماذا لو احتاج أحد من قريته إلى مساعدة منها، ولِمَ مشاعرها تزجر بها عن

مساندة حامد ووالده؟ أما إن رأته ورأها وأقنعته أنها جثّت مشاعرها له منها، فسيصبح كل شيء يليها مألوفًا.

وردت على اتصال من مروة، أوجزت لها مروة فيه غياب دسوقي في قريتها عن نظر والدها، وأبلغت به حامدًا، وناشد حامد السائق بالله أن يسير بأسرع ما يمكنه، واتصل أشرف برجب... حاول الاتصال بعبدالغني، وعمد عبدالغني الإقلاع عن الرد، وزج بهاتفه تحت وسادته وأكره عينيه على الإغماض، واستنتج أشرف قصد عبدالغني في التنائي عن أصدقائه أجمعين.

وجوال حامد نبهه لرسالة من رحاب، صورة أبيه التي صورها والد مروة، شاهد حامد كل اختلاف تظهره الصورة في أبيه عما كانت عليه هيئته كأنه يصوب سهمًا إلى وجه حامد، واسمرار بشرته اسودَّ، وبوجهه ندوب غزيرة حافرة تقاسيم بينها، خده الأيسر متورم وبه ازرقاق، وأصابع يده اليمنى مطوقة بقطعة قماش كأنها تغطي جرحًا، وشعر رأسه ولحيته متجعد، وشاربه بعضه منحني بين شفتيه، وجلبابه ممزق، وقدماه حافيتان، وبيده نصف من شومته، نشط في حامد سخطه على أخويه، لولا ما فعلاه، ما آل حال أبيه به إلى ما هو فيه.

على مشارف قرية الحرادنة أعطى حامد السائق أجرته، وفتح مزلاج باب السيارة، وطلب من محمد وابن عمه مراقبة مداخل القرية ومخارجها، وفي بداية أول شارع من القرية أشار للسائق بالتوقف، وقفز من السيارة يجري إلى داخل القرية، وأشرف وجاسر كلاهما توجه إلى شارع من شوارع القرية وإلى ناحية غير ناحية الآخرين.

رواية ضوء مغاير / الكاتب علي رشوان

وبقصوى سرعته جرى حامد في شوارع وأزقة ودروب من القرية، والواقفون والمارون يسمعون هزيز ثيابه، وكلما أراد سؤال أحد عن أبيه، أسند يده إلى جدار بيت أو عمود كهرباء ويبطئ سرعة خطواته ويتوقف، مرتين كان سيسقط على الأرض وتعرقلت قدماه بوحل مرة، وسيارة أغلقت منحنى شارع يعبره، وقفز من أمامها وتمزق كم قميصه من احتكاكها بذراعه...

ذيع في أرجاء القرية صوت أشرف وهو ينادي أهل القرية من مسجد واصفًا لهم دسوقي بأوصافه كما في الصورة التي أرسلتها رحاب لحامد، ولا خطر منه على من يحسن معاملته، ويرجو من يراه بالمناداة من مسجد، سمع رجب ورحاب المناداة، كان رجب في شارع من شوارع القرية، رحاب في سيارة أجرة فنزلت منها قبل بيت مروة، وهرولت في شارع، ومنه إلى شوارع أخرى، كان أشرف في تقاطع شارعين... سألته إن كانوا يراقبون مداخل القرية ومخارجها أم لا... تمعن أشرف في حالها، تحوزها الجدية، وأقبلت وهدفها مساعدة حامد وأبيه فقط، ولمح دبلتها فتيقن بأن تماثل قوتهما كان محرك توافقهما المندثر، هو وهي دحرا مشاعرهما المرتبطة بالآخر في فترة وجيزة.

واصلت رحاب السؤال عن دسوقي، ومروة وابنة عم لها جاءتاها تبحثان معها عنه... دخلن شارع من الشوارع فيه حامد أمامهن يسأل عجوزًا عن أبيه، ورآها حامد، وامتلأت عيناه بالاعتذار إليها عما فعله، فأشارت إليه بيدها يمينًا ويسارًا كأنها تقول له كل شيء انتهى وكأنه لم يكن، واستراح صدره.

ودنا من حامد رجل خرج من بيته وخلفه ابنه.

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤلف الرواية ضوء الكهف علي رشوان

- أبوك كان في الشارع القدامي من دقيقتين يا ابني.

فانطلق حامد إلى الشارع، وأشار الرجل لابنه اتجاه حامد.

- معه يا ولدي.

وأسرع الشاب اتجاه حامد، وتبعتهما رحاب ومروة وابنة عمها.

﴿ تمت ﴾

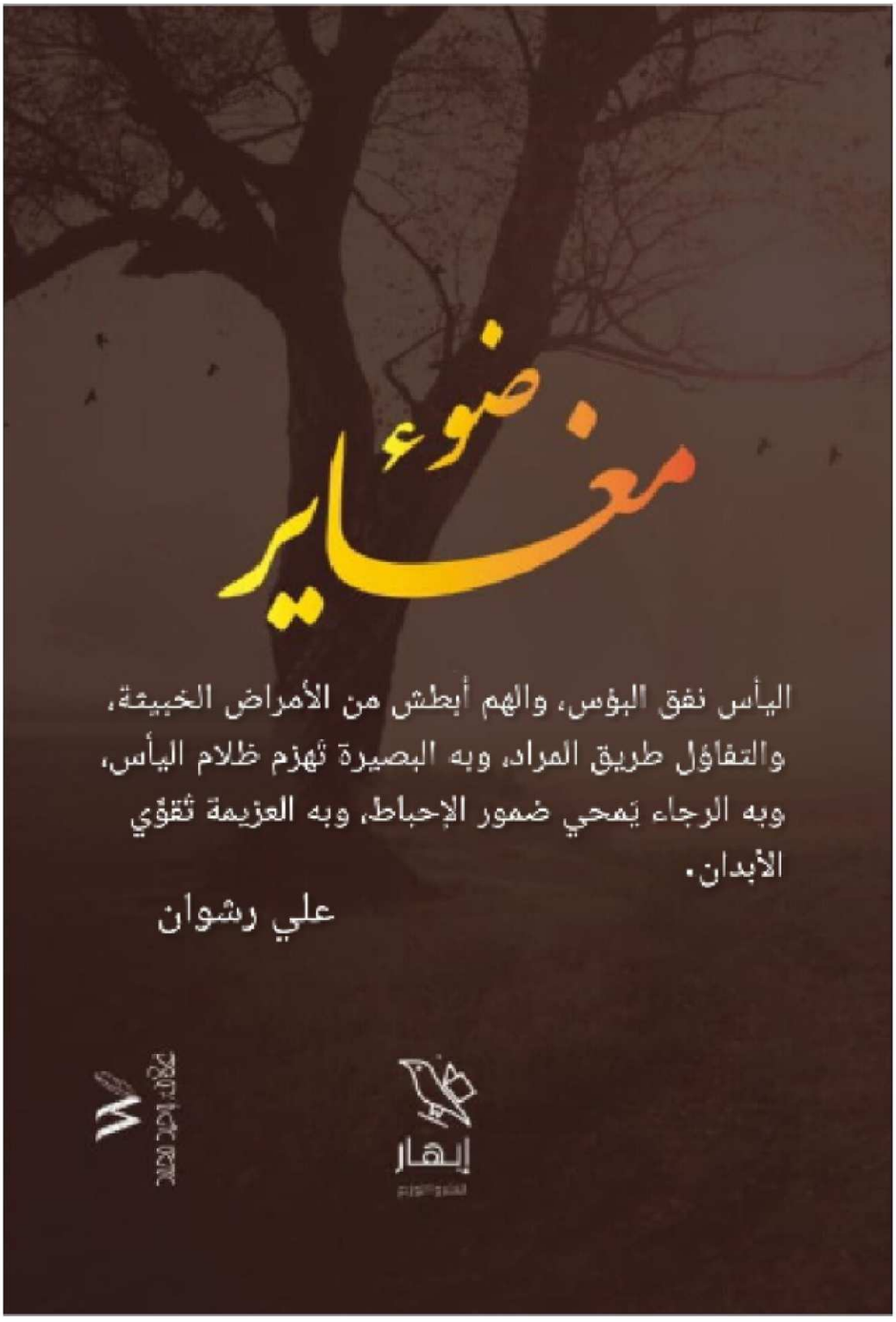
ضوء
مغاير
اليأس نفق البؤس، والهم أبطش من الأمراض الخبيثة،
والتفاؤل طريق المراد، وبه البصيرة تهزم ظلام اليأس،
وبه الرجاء يمحي ضمور الإحباط، وبه العزيمة تقوّي
الأبدان.
علي رشوان
إبحار